مكة المكرمة في المصادر اليمنية في القرن السابع الهجري

د. طه حسين عوض هُديل
أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك
كلية التربية – جامعة عدن

المقدمة:

لقيت مكة عبر العصور عناية كبيرة من قبل كثير من الباحثين والمؤرخين والجغرافيين والرحالة، ممن رأوا فيها مدينة ميزها الله تعالى عن غيرها بصفات عظيمة، لا نجدها في غيرها من البلاد والحواضر الإسلامية، ونتيجة لهذه الأهمية حازت مؤلفات كثير من هؤلاء المؤرخين والرحالة وغيرهم على العديد من الأخبار التي تحدثت عن مكة، وتاريخها، وما شهدته من أحداث مختلفة، جمعت بين أخبارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية، وعلى الرغم من ذلك الاهتمام فإنه من النادر أن نجد مؤلفات خصصت فقط لتاريخ هذه المدينة المقدسة، وإن وجد فذلك يكون محصوراً بمراحل زمنية محددة دون غيرها، في حين من الممكن أن نجد تفاصيل كثيرة عن حياة هذه المدينة وتاريخها بين سطور صفحات المصادر المختلفة التي انتشرت في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، أو في كتابات الرحالة الذين زاروها في مراحل زمنية مختلفة، وتحديداً في العصور الإسلامية المتأخرة.

لقد كان من بين أهم الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع رغبتي في إبراز تاريخ هذه المدينة التي جذبت قلوب كل المسلمين في مختلف بقاع الأرض، في محاولة بسيطة لاستخراج أي معلومات تتعلق بها في المصادر اليمنية التي نالت أخبار مكة اهتمام مؤلفيها، وتحديداً في القرن السابع الهجري، لاسيما أن تاريخ مكة في هذه المدة الزمنية ارتبط بتاريخ اليمن لما كان لها من تأثير فيها على مستوى الحياة العامة والعكس، علماً بأن هذه المدينة كانت منطقة صراع بين الأيوبيين ثم المماليك في مصر والرسوليين في اليمن، ولتحقيق الهدف المنشود قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وخمسة مباحث، تناولت في المبحث الأول أهم المصادر التاريخية اليمنية التي تناولت تاريخ مكة في مدة الدراسة، وأسباب اهتمامها بها، ودرست في المبحث الثاني المجتمع المكي في القرن السابع الهجري، وخصصت المبحث الثالث للحالة السياسية لمكة في القرن السابع الهجري، وأفردت المبحث الرابع للوضع الاقتصادي كما جاء في المصادر في القرن السابع الهجري، وخصصت المبحث الخامس للنواحي العلمية لمكة في مدة البحث، وأنهيت دراستي هذه بخاتمة لخصت من خلالها أهم النتائج والاستنتاجات التي خرجت بها.

المبحث الأول:

مصادر تاريخ مكة في اليمن في القرن السابع الهجري:

مما لا شك فيه أنه كان لمكانة مكة المكرمة في نفوس المسلمين دور كبير في التواصل التاريخي مع باقي أجزاء البلاد الإسلامية، وتبرز تلك المكانة من خلال ما جاء عنها في المؤلفات التاريخية التي دونت لهذه المدينة، وكتبت عنها وعن تاريخها، وما شهدته من أحداث عبر الحقب الزمنية المختلفة، وتعد اليمن من بين البلاد الإسلامية التي سخر علماؤها ومؤرخوها كثيراً من مؤلفاتهم وكتاباتهم للحديث عن هذه المدينة أو الإشارة إليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لاسيما في القرن السابع الهجري الذي شهدت فيه مكة أحداثاً تاريخية كثيرة، كشفتها هذه المصادر اليمنية التي شهد بعضهم أحداثها في القرن المذكور، علماً بأن بعض تلك المصادر لم تخصص كتاباتها مباشرة للحديث عن مكة، ولكن جاء اهتمامها بمكة في سياق حديثها عن تاريخ اليمن، ومع ذلك شكلت تلك المعلومات رافداً جديداً من روافد الحصول على المعلومة عن هذه المدينة التي خصها الله تعالى بالعديد من الصفات والسمات التي ميزتها عن باقي بلاد الله، وإذا ما نظرنا إلى الأسباب التي دفعت مؤرخي اليمن إلى الكتابة عن مكة سنجد أنها عديدة ومختلفة؛ وهو ما سوف نتحدث عنه لاحقاً.

إن المتعمق في دراسة تاريخ اليمن في العصر الإسلامي – قبل مدة الدراسة – قد يلاحظ أن هناك من المؤرخين اليمنيين أيضاً من اهتم بتاريخ مكة المكرمة اهتماماً محدوداً، دون التوسع في الحديث عنها إلا في إطار حديثه عن اليمن أو عن أجزاء من جزيرة العرب، ويعد لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفى سنة 360هـ من بين هؤلاء المؤرخين اليمنيين الذين أشاروا إلى مكة في كتاباتهم، لاسيما عند حديثهم عن جوانب معينة، وتحديداً الاجتماعية والجغرافية منها، كذكره بعض أبرز قبائل مكة[1]، وجبالها، وشعابها، ومساجدها، وآبارها وغير ذلك[2]، وبالرغم من محدودية تلك المعلومات فإنها مهمة لأي باحث في تاريخ مكة[3]، وهو ما دفعنا إلى الإشارة إليها.

إلا أن ما يهمنا هنا هو الخوض في أهم ما كُتب عن مكة في القرن السابع الهجري، والمصادر التي أُلفت خلال هذا القرن أو الذي يليه، وما جاء به مؤلفوها من كثير أو قليل من أخبار هذه المدينة، فضلاً عمّا جاءوا به من أخبار حصل عليها كتابها من مشاهداتهم، أو مشاهدات غيرهم من الناس المعاصرين لهم، ويعد كتاب: (السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن)، لبدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني المتوفى بعد سنة 702هـ، من أهم مصادر القرن السابع الهجري التي مدتنا بأخبار مهمة عن مكة، وإن كانت مختصرة لجوانب من الحياة السياسية هناك في إطار حديثة عن تاريخ اليمن في القرن السابع الهجري، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كون مؤلفه ابن حاتم اليامي عاش في القرن المذكور، وتعد معلوماته من الأخبار التي من الصعب تجاهلها أو الاستغناء عنها؛ لأهميتها التاريخية في تدوين تاريخ مكة السياسي والاجتماعي.

كما مدنا كتاب: (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب)، للملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن رسول المتوفى سنة 696هـ بمعلومات قيمة، وإن كانت بسيطة عن سكان مكة من الأشراف وغيرهم، وفروعهم المختلفة، ليسد بذلك فجوة في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية هناك، في حين يعد كتاب: (نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف)، من بين أهم المصادر التاريخية اليمنية التي تطرقت أيضاً لجوانب معينة من حياة مكة الاقتصادية في القرن المذكور، إذ قدم كاتبه معلومات متعددة عن بعض البضائع والسلع التجارية التي كانت تصدر إلى الأسواق اليمنية من أسواق مكة، مما يعطي لنا تفاصيل مختلفة لما كان يباع في أسواق مكة، وأنواع المعاملات التجارية فيها، وما يتداول فيها من عملات وأوزان، وغير ذلك من المعاملات التي ارتبطت بها مكة مع غيرها من أقاليم العالم الإسلامي، وبالرغم من أن كتاب (نور المعارف) مجموعة وثائق وسجلات تابعة لديوان السلطان المظفر يوسف بن نور الدين عمر بن علي بن رسول المتوفى سنة 694هـ، لكنها حوت مادة مهمة ودسمة لأي باحث في تاريخ مكة المكرمة الاقتصادي في القرن السابع الهجري[4].

إلا أن أكثر الأحداث التي شهدتها مكة في القرن السابع الهجري، لاسيما السياسية وبعض الاجتماعية والعلمية ورد ذكرها في بعض المصادر اليمنية التي أرخت للقرون اللاحقة، وتحديداً الثامن والتاسع الهجريين، وعلى ما يبدو أن هذه المصادر استقت معلوماتها من مصادر دُونت قبلها، أو من شخصيات عاشت في نهاية القرن السابع أو سمعت من أناس زاروا مكة أو جاوروا فيها مدة من الزمن، ويعد كتاب: (السلوك في طبقات العلماء والملوك)، لأبي عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي المتوفى سنة 732هـ، من بين أهم المصادر التاريخية التي تناولت في بعض صفحاتها معلومات عن مكة، وعن أهم أعلامها من فقهاء وعلماء ذاع صيتهم في ذلك الحين، فضلاً عن معلومات أخرى سوف نعرج عليها في سياق حديثنا عن الحياة العلمية لمكة في القرن السابع الهجري. في حين يعد كتاب: (بهجة الزمن في تاريخ اليمن)، لتاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد المتوفى سنة 744هـ، من بين المؤلفات التي أشارت بصورة أو بأخرى إلى بعض الأحداث التي عاشتها مكة، خلال القرن السابع الهجري، لاسيما وأن مؤلفه أدرك أواخر المرحلة، وسمع من شخصيات شاركت في أحداث القرن المذكور، فكانت شاهدة عليه. وكذلك الحال بالنسبة لكتاب: (مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان وتقلب أحوال الإنسان وتاريخ موت بعض المشهورين من الأعيان) للعلامة عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي اليماني المتوفى سنة 768هـ، الذي يعد مؤلفه هذا من المصادر التاريخية المهمة التي مدتنا بالكثير من المعلومات التاريخية المهمة عن مكة وأهلها وعلمائها، وبالرغم من أن هذا المصدر كتب عن حقب زمنية مختلفة؛ فإن مؤلفه سخر جزءا كبيرا منه لأحداث القرن السابع الهجري، لاسيما في النواحي العلمية الاجتماعية وغيرها.

كما مثلت المعلومات التي قدمها لنا كتاب: (العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية)، للملك الأفضل العباس بن علي بن رسول المتوفى سنة 778هـ، رافداً آخر، تمكنا من خلاله من الحصول على كثير من المعلومات المتعلقة بتراجم شخصيات بارزة زارت مكة، وتعلمت فيها، وجاورت الحرم وعاشت فيه. وكذلك الأمر بالنسبة لكتاب: (فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر الزمن)، للملك الأشرف أبي العباس إسماعيل بن العباس المتوفى سنة 803هـ، الذي تعرفنا من خلاله على كثير من المعلومات المتعلقة بالنواحي السياسية والاجتماعية والعلمية لمكة، وما ترتب عليها من أحداث دونت في هذا الكتاب، وأصبحت رافداً آخر يمكن العودة إليه عند دراسة تاريخ هذه المدينة المقدسة.

وإضافة إلى ما ذكرنا، شكلت مؤلفات المؤرخ اليمني أبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة 812هـ رافداً آخر من روافد معلومات تاريخ مكة، إذ أمدتنا كتبه: (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية)، و: (العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك)، و: (العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن) المعروف أيضاً بـ: (طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن)، بمعلومات متنوعة لم نجدها عند غيره من المؤرخين، لاسيما عن الأحداث السياسية التي شهدتها مكة في القرن السابع الهجري، وما تعرضت له من أزمات اجتماعية، فضلاً عن بعض المعلومات المختلفة عن الحياة العلمية في ذلك الحين، وأبرز علمائها، وإسهاماتهم في نشر التعليم في مكة، وفي غيرها من البلاد الإسلامية.

وعلى أية حال، فقد تنوعت المصادر التاريخية التي دونت الأحداث التي شهدتها مكة في مدة الدراسة، وتفاوتت معلوماتها بين الكثرة والقلة، وهو ما يتوجب علينا هنا ضرورة الإشارة إليها، ولو من باب الذكر أو التنبيه؛ لأهميتها التاريخية والعلمية، علماً بأن هذه المصادر كثيرة ومتنوعة، إلا أننا ركزنا على أهمها، وأكثرها مادة، وأسبقها في ذكر المعلومة، مع تجنب التوسع في المصادر التي كتبت في فترات لاحقة، لاسيما وأنها اعتمدت في معلوماتها على المصادر التي اعتمدنا عليها في دراستنا هذه، في الوقت الذي اعتمدنا على مصادر أخرى لتدعيم البحث، وتوضيح بعض الحقائق التاريخية المهمة التي غفلت عنها المصادر اليمنية[5].

لقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن ما قدمه المؤرخون اليمنيون وغيرهم من معلومات عن مكة كان له أسباب مختلفة، أضمرها بعضهم، وأعلنها بعضهم الآخر في مقدمة مؤلفه ليعرف القراء الأسباب التي دفعته للكتابة عن هذا الموضوع أو ذاك، ومن خلال ذلك يمكن حصر تلك الأسباب في الآتي:

1- إبراز أهمية مكة المكرمة بوصفها مدينة مقدسة للمسلمين، ميزها الله تعالى عن غيرها في المكانة والتقدير، فضلاً عن كونها أحب بلاد الله إليه، وإلى رسوله الكريم (صل الله عليه وسلم)[6].

2- تدوين التواريخ المختلفة والأحداث التي مرت بها اليمن عامة ومكة المكرمة خاصة، مع الإشارة إلى الروابط المشتركة التي جمعت بينهما، لاسيما وأن الأحداث التي مرت بها مكة في القرن السابع الهجري لا يمكن فصلها عن أحداث اليمن في مدة الدراسة، لما تؤكده المصادر التاريخية من امتداد مساحة حكم الدولة الأيوبية في اليمن، ومن ثم الرسولية إلى الحجاز، التي أصبحت فيما بعد موقع صراع بينهم وبين المماليك في مصر [7].

3- الرغبة في التعريف بمكة، من حيث موقعها وأهميتها، وطبيعتها، وسكانها، وجبالها وغير ذلك من الأمور التي من الممكن أن تغني المتلهف للتعرف عليها، ممن لم تمكنهم ظروفهم من زيادتها من المسلمين[8].

ونصل هنا إلى خلاصة مفادها، أنه على الرغم من محدودية الأخبار التي دونت عن مكة في القرن السابع الهجري في بعض المصادر التاريخية اليمنية، فإنها ترفدنا بمعلومة لا بأس بها عن هذه المدينة العظيمة؛ لما ميزها الله تعالى به من صفات مختلفة دفعت مؤرخي اليمن إلى الاهتمام بها وبأخبارها، وتاريخها، في الوقت الذي كان لكل مؤرخ من هؤلاء المؤرخين سببه الخاص في التدوين والكتابة، وهو ما دفعنا إلى التقصي والبحث عن هذه الأسباب التي وجدنا بعضها بين سطور مؤلفاتهم، في حين استنتجنا بعضها من خلال القراءة المتعمقة في هذا الموضوع، وهو ما فتح لنا المجال إلى محاولة رسم صورة للوضع العام التي عاشته مكة، وتحديداً في القرن السابع الهجري، لاسيما وضع المجتمع المكي.

المبحث الثاني:

المجتمع المكي في القرن السابع الهجري:

عُرفت مكة عبر التاريخ بتسميات مختلفة، انتشرت بين المسلمين كافة، وقد حمل كل اسم منها معنىً مختلفاً عن الآخر، ميزها عن غيرها من المدن والحواضر الإسلامية، لصفة معينة عرفت بها، ونتيجة لما لتلك التسميات من أهمية تاريخية؛ ركز بعض مؤرخي القرن السابع الهجري عليها، وراحوا يفسرونها في مؤلفاتهم لكي يتعرف الناس عليها، في الوقت الذي نرى فيه – من وجهة نظرنا الخاصة – أن عامة المسلمين عرفوا مكة في القرن السابع الهجري باسم(مكة) فقط دون غيرها من التسميات[9]، في حين بقيت تلك التسميات بوصفها إشارات في الكتب ومعاجم اللغة للتعريف فقط بتسميات (مكة) التي ورد معظمها في القرآن الكريم[10] وفي بعض مؤلفات العرب وأشعارهم، والدليل على ذلك أننا لم نجد في كل مؤلفات القرن السابع الهجري التي بين أيدينا والقرون التي تلت أية إشارة أو تسمية لتلك المدينة غير (مكة) فقط، ومع ذلك قدم ابن المجاور الذي عاش في القرن المذكور شرحاً مفصلاً لما عُرفت به (مكة) من تسميات في أثناء حديثه عنها في مطلع كتابه (تاريخ المستبصر)[11]، فذكر أن الله تعالى سماها بأربعة أسماء، هي: مكة، والبلد، والقرية، وأم القرى[12]، وراح يفسر تلك الأسماء، ويوضح معانيها، معقباً بذكر تسميات

أخرى لمكة، استقاها من بعض المؤلفات التي اعتمد عليها مثل كتاب الفاكهي[13]، ومن تلك التسميات، مكّة، وبكّة، وبَرّة، وبَسّاسة، والحرم، والمسجد الحرام، والبلد الأمين[14].

وفي الوقت نفسه، يورد (ابن المجاور)[15] أن مكة عُرفت أيضاً بـ: (صلاح)، و (النشاشة)، ويذكر أنها من تسميات الجاهلية، و (مَكّى مسير)، وهي من الأسماء التي عرفت بها عند الهنود، و (عروق الذهب) كما كان يسميها التجار، و (مُربية الأيتام) كما كان يسميها (أهل بغداد)، و (كوسا) التي يذكر أنه استخلصه من قول أحد الشعراء:

سألت عمراً عن فتى اسمه * يحيى وثانٍ اسمه عِيسى

فقال: يحيى ابصرته جالساً * بالفج يحلق رأسه مُوسى

وأبصرت عيسى داخلاً قرية * هي التي قد سميت كُوسا[16]

ونتيجة أيضاً، لما احتلته مكة من مكانة في قلوب المؤرخين اليمنيين؛ فضل بعضهم عند ذكر اسم مكة، اتباعه بصفةٍ أو دعاءٍ يدل على تعظيمها، ورفع مكانتها، كأن يكتب: مكة المشرفة[17]، أو مكة حرسها الله تعالى[18]، أو مكة شرفها الله تعالى[19] وغير ذلك.

وكما عرفت مكة بتسمياتها المختلفة عرفت أيضاً بتنوع تركيبتها السكانية، وتعدد فئاتها، وصفات أهلها، وتنوع مساكنهم وأحيائهم، فضلاً عن أمور أخرى تتعلق بحياتهم الاجتماعية من عادات وتقاليد وزواج وغير ذلك من الأمور الاجتماعية التي شغلت مؤرخي القرن السابع الهجري، وهو ما نحن بصدد دراسته في هذا المبحث.

1- التركيبة السكانية لمكة:

لقد كان لأهمية مكة الدينية وقدسيتها أثر واضح في تنوع التركيبة السكانية فيها خلال مدة الدراسة، نتيجة لما توافد عليها من أجناس مختلفة عبر التاريخ، إذ تكون سكانها من: عرب (قبائل)، وأشراف، وقرشيين، وغرباء وافدين[20]، ومجاورين انتقلوا إليها من مختلف بلاد المسلمين واستقروا فيها مدى العمر، أو مدة من الزمن؛ بهدف طلب العلم أو الرزق أو غير ذلك[21]، فضلاً عن أعداد من العبيد والجواري الذين وجدوا في المجتمع المكي، وعملوا فيه بعد شرائهم من قبل ميسوري مكة وتجارها[22]، وقد شكل الفقراء والمساكين القاعدة الكبرى في المجتمع المكي، وانتشروا فيه وكانوا يحظون باهتمامات بعض الملوك والأمراء والأئمة، وهو ما يؤكده لنا (ابن حاتم)[23] عند حديثه عن أحداث سنة 601هـ.

ومن أبرز القبائل العربية التي سكنت مكة واستقرت فيها أو في المناطق المجاورة لها في القرن السابع الهجري قبيلة هُذيل، التي يذكر (الخزرجي)[24] أنها من القبائل التي وقفت في سنة 646هـ إلى جانب ابن المسيب، والي مكة من قبل السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (626 –

647هـ)، أول سلاطين الأسرة الرسولية في اليمن، وقبائل بني كنانة، وبني شعبة[25]، فضلاً عن بعض القبائل التي تفرعت عن قريش، دون أن تذكر المصادر أسماء هذه القبائل، وقد مِيز أهالي مكة زوارها ممن ينتسبون إلى قبيلة قريش، وراحوا يكنون لهم التقدير والاحترام، لنسبهم الشريف، ويذكر (الجندي)[26] أن الفقيه علي بن أبي بكر الزيلعي العقيلي المتوفى نهاية القرن السابع الهجري، الذي يعود نسبه إلى عقيل ابن أبي طالب (رضي الله عنه)، ممن حج مكة أكثر من مرة من الحبشة، وعندما تحقق أهل مكة من نسبه إلى قريش، عاملوه بما يستحق ورفعوا من مكانته وشأنه حتى بعد موته.

وفي الوقت نفسه، شكل الأشراف ممن سكنوا مكة، فئة مهمة، حظيت بتقدير الأهالي واحترامهم هناك، وأهالي البلاد المجاورة لها وملوكها وأمرائها، لنسبهم الشريف الذي يعود إلى الإمام علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) صهر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وابن عمه[27]، ومن أبرز الأشراف الذين سكنوا مكة في القرن السابع الهجري؛ أسرة الشريف الأمير منصور بن مُكْثِر بن عيسى بن مكثر بن قاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله ديباجة بني هاشم بن الحسن (بن الحسن) بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[28]، كما سكن مكة الأشراف القتادات، ويقال لهم بنو حسن أولاد الشريف قتادة بن إدريس بن مُطاعِن بن سليمان بن عبد الكريم بن عيسى بن سليمان بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن سليمان بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وهم ثمانية: الحسن أبو علي، وراجح، ومحمد، وإدريس، وعلي الأكبر، وعلي الأصغر، وقاسم، وحسَّان[29]، كما يشير ابن حاتم اليامي[30] إلى أن من أشراف مكة أيضاً: بني موسى، وقد يكونون من القتادات، ويذكر ابن المجاور[31] أن هؤلاء الأشراف نزلوا مكة من أيام دولة الإمام عبد الله الخليفة أبي جعفر (بن) هارون الرشيد[32]، واستقروا فيها إلى سنة 619هـ، وهي السنة التي حكم فيها مكة السلطان الملك المسعود صلاح الدين أبو مظفر يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شادي بن مروان بن محمد، وهو آخر ملوك بني أيوب في اليمن، وقد مات في مكة سنة 626هـ[33].

كما برز في مكة في القرن السابع الهجري عدد من الأسر التي اشتهرت بمكانتها الاجتماعية أو العلمية أو المهنية أو السياسية، ويذكر الجندي[34] عدداً من تلك الأسر، منها: الطبريون، الذين يقول عنهم: " الطبريون من أهل مكة "، وأبرز من اشتهر منهم القاضي محمد بن أحمد المحب الطبري، الذي وصف بأنه أحد أعيان الدنيا المشهود لهم بالإجادة والإفادة، كما برز في ذلك القرن من الأسر: العجبيون، الذين ينتسب إليهم مفتي الحرم المكي محمد بن مفلح بن أحمد العجيبي المتوفى نهاية المئة السادسة، والذي يقول الجندي[35] فيه: " توفي بمكة مفتي الحرم محمد بن مفلح بن أحمد العجيبي نسباً، من قوم هناك يعرفون بالعجيبين ".

وفي الوقت نفسه، شهدت مكة وجود العديد من الفئات والشرائح الاجتماعية التي كان لها دور كبير في الحياة العامة، كالعلماء، والتجار[36]، والصيارف أو الصرافين الذين يتولون صرف العملات وتبديلها بغيرها، وفقاً لقانون الصرافة وحركة السوق في أسواق مكة[37]، والصناع من الدباغين والصباغين[38] وغيرهم.

وقد عُرف سكان مكة الأصليون من الرجال بسمارة البشرة، لأن جُلة مناكحهم الجواري السُود من الحبش والنوبة، وبأنهم طوال الجثث، صحيحو اللغة، قليلو المال، كثيرو العشائر والقبائل، ذوو قناعة[39]، مما يعطي لنا فكرة عن العلاقة التي ربطت أهالي مكة بغيرهم من الشعوب الذين جلبوا إليها، أو جاؤوا بهدف المجاورة أو الزيارة، ومدى تأثير تلك العلاقة فيهم.

2- وصف مكة وأحيائها وبيوتها وأسواقها:

وصفت بعض المصادر التاريخية مكة، وطبيعتها، وحياة أهلها في القرن السابع الهجري، وصفاً بسيطاً، لكنه يعد مادة مهمة يمكن الاعتماد عليها في التوثيق لتاريخ هذه المدينة المقدسة في القرن المذكور، إذ يقول (ابن المجاور)[40] عن هوائها أنه صحيح، وجوَّها طيب، وليلها أطيب. وفي وصفه لبيوت مكة يقول: إن أهلها عمّروا بيوتهم بالحجر والجص منذ القدم[41]، وأقاموا مساكنهم حول الحرم الشريف، وسعوا إلى تحصينها وتحكيم بنائها، إلا أنه نتيجة لتوسع المدينة سعى بعض الأمراء، مثل الأمير هاشم[42]، إلى بناء ما أطلق عليها ظاهرَ مكة ما بين درب الثنية والمسفل[43]، وأطلق عليها مربعة الأمير، وأسكن فيها جُنده وخدمه وحشمه، وهو ما جعل المدينة عامرة بالحياة، ونتيجة لما شهدته المرحلة من صراعات خربت هذه المنطقة في دولة الأمير عيسى بن فليتة[44]، وبقيت خراب إلى دولة الأمير قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم[45]، الذي جدد فيها آثاراً ومواضع كانت قد اندثرت، وقرر أن يسكن فيها وجميع الأشراف والغرباء وقريش؛ ولتحصينها أدار الأمير قتادة بن إدريس على مكة سوراً من الحجر والطين، وسيره إلى رؤوس الجبال، ومر به حتى في بطون الأودية، وحصر الدخول إلى مكة إلا من أربعة أبواب هي: باب المَعْلَى، ينفذ إلى عرفات، وباب الثنية، ينفذ إلى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويسمى باب جُدّة، وباب العُمرة، وباب المسفلة ينفذ إلى اليمن، وباب صغير ينفذ إلى الصفا[46]. في حين تعرفنا بعض المصادر التاريخية ببعض الأماكن الشهيرة التي كانت على مقربة من مكة، مثل: فخ أو فج، الذي يقول عنه اليافعي[47]: " هذه اللفظة سمعتها من بعض عوام مكة بالفاء والخاء المعجمة، ورأيتها في بعض التواريخ فيها نقطة الجيم، وهو مكان على يسار الخارج من مكة للعمرة وهو إلى أدنى الحل أقرب منه إلى مكة ".

وقد اعتمد أهالي مكة في الحصول على مياه شربهم على الآبار، ومن أشهرها: بئر البيضاء[48]، وآبار أخرى وصفت بأنها طيبة، مثل: بئر الشبيكة، والوردية، والواسعة، التي تقع خلف جبل أبي قبيس[49]، وقد شكلت تلك الآبار مصدر ربح لبعض الفقراء، لعملهم في السقية، للكسب من ذلك، علماً بأن أم العزيز زُبيدة بنت جعفر[50] بن أبي جعفر المنصور هي من عمرت تلك الآبار[51].

كما يُذكر أنه كان يزرع في مكة ويباع في أسواقها جميع الخضار، كالبطيخ والخيار والقثاء والباذنجان، وكراث الذي يأكلونه بالتمر والفجل، والرطب الطيب بنوعيه البرني والمكتوم، فضلاً عمّا كان يزرع فيها من الفواكه والثمار، وجميع الأزهار والرياحين والزعفران وغيرها[52].

3- عادات وتقاليد أهل مكة:

عرف أهالي مكة بعاداتهم وتقاليدهم المختلفة في المدة موضوع الدراسة، وقد وثقت بعض المصادر عدداً من تلك العادات والتقاليد، لاسيما عادات الزواج، الذي يُذكر أنه يكثر في العشر من ذي الحجة، وخاصة الخطبة، التي كان من شروطها النظرة الشرعية للعروسين قبل الزواج، والذي عادة ما يقوم بها أكثر أهل مكة في العاشر من المحرم، وقد شكل موسم الحج فرصة لعمل أكثر أهل مكة، ومصدر دخل مادي لهم، يتمكن من خلاله الكثير من الشباب من جمع ما شرط عليهم من مهر، حتى أنه بمجرد الانتهاء من موسم الحج وعودة الحاج تعلن الأفراح، وتقام الأعراس بين الناس[53].

وعلى أية حال، فقد كان من عادة الرجال من أهل مكة أن يزينوا أنفسهم عند الزواج، فيخضبوا أيديهم وأرجلهم بالحناء، ويستخدموا الطيب رجالاً ونساء، وكان من عاداتهم أن يحضر كل الأصدقاء والأقارب إلى العريس وكلٌ منهم يحمل في يده قرطاساً فيه مبلغ من المال يطلق عليه اسم طرح، كل حسب قدره وحاله وسعة ماله، وهي عادة انتشرت حتى بين نساء مكة أيضا، وبانتهاء مراسيم العرس (الاحتفال) يخرج العريس إلى الحرم، ويطوف بالبيت سبعاً، ويصلي في مقام إبراهيم ركعتين، ويقبل الحجر الأسود، ثم يخرج محفوفاً بالشمع إلى بيت العروس، ويدخل عليها، ويبقى عندها سبعة أيام، وفي اليوم السابع يخرج بما جمعه من المال الذي قدمه له الأهل والأصدقاء (الطرح)، ليستفيد منه في مشروع يعيش منه، كأن يفتح دُكاناً، علماً بأن ذلك المال الذي قدم له يعد ديناً عليه، وكل من يتزوج من القوم الذين حضروا العُرس وقدموا الطرح على العريس أن يرد لهم بمثل ما جاءوا به أو يزيد عليه[54].

وقد شكل الكرم والجود صفة تميز بها أهل مكة فيما بينهم، ومع من يقدم من المسلمين إلى بلدهم، ومما يؤكد ذلك ما يذكره لنا (الجندي[55] عن صاحب مكة أبو نمي في عصر السلطان المظفر يوسف بن نور الدين عمر بن علي بن رسول، ثاني سلاطين الدولة الرسولية في اليمن (647 – 993هـ)، أنه قدم عليه رجل يسمى أبا الفضل الشريف العباسي، وكان أصل بلده دمشق، وكان مستقراً في مدينة عدن، ثم سافر بعائلته إلى مكة فأكرمه أبو نمي، وظل في ضيافته حتى توفي بمكة.

أما ملابس أهل مكة من الرجال في مدة الدراسة فقد لبسوا النصافي النيسابوري الرفيع[56]، وكانوا يتحزمون بنصفه الثاني، ويرمى بما بقي منها، ونتيجة لوجود صناعة ودابغة الجلود في هذه المدينة لبس أهلها في أرجلهم أجود اللباس من الأحذية، ولبست النساء القنوع، والبراقع[57]، ولبس بعض الرجال لاسيما من علية القوم الحرير[58]. وقد نوع أهل مكة في أطعمتهم، وأكلوا اللحم والسمن والخبز، كما وجد في أسواقهم البطيخ والخيار والقثاء والباذنجان والكراث – يأكلونه بالتمر –، والفجل[59].

المبحث الثالث:

الوضع السياسي لمكة في القرن السابع الهجري:

إن المطالع في تاريخ مكة خلال القرن السابع الهجري يلاحظ بأنها خضعت لعدد من القوى السياسية التي تنافست للسيطرة عليها؛ لأهميتها الدينية لدى جميع المسلمين، وتعد الدولة الأيوبية التي قامت في مصر، ومدت سيطرتها إلى اليمن (579 – 626م) من أبرز القوى السياسية التي حكمت مكة، واستمر حكمها لها حتى قامت الدولة الرسولية في اليمن سنة 626هـ، التي كان من أولوياتها التوسع إلى الأراضي الحجازية لاسيما مكة، فكان ذلك سبباً في أن تصبح مكة موقع صراع بين حكام اليمن من الرسوليين وحكام مصر من المماليك الذين خلفوا الدولة الأيوبية في كل شيء، ورأوا بأنهم أحق بحكم مكة من غيرهم، لاسيما بعد الانتصارات التي حققوها على المغول (التتار) الذين كادوا يبسطون سيطرتهم على العالم الإسلامي بالقوة، وقد لقيت كل تلك الأحداث عناية واهتمام بعض مؤرخي اليمن الذين دونوا في تاريخ القرن السابع الهجري، وعلى الرغم من محدودية ما كتبوه عن مكة في سياق حديثهم عن تاريخ اليمن، فإن معلوماتهم تعد ذات أهمية كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها، أو استثناؤها للارتباط التاريخي بين تاريخ مكة واليمن، وهو ما سوف نستعرضه الآن في أثناء حديثنا عن مكة في العصر الأيوبي، ثم وضعها في ظل الصراع الرسولي المملوكي خلال القرن موضوع الدراسة.

1- مكة في العصر الأيوبي:

خضعت مكة مع نهاية القرن السادس ومطلع القرن السابع الهجريين لحكم أسرة جديدة من الأشراف، وهي أسرة بني قتادة بن إدريس الحسنيين، إذ تورد المصادر أن صاحب ينبع[60] وما يليها الشريف أبا عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم العلوي الحسني تمكن في 27 رجب سنة 597هـ من مهاجمة مكة ودخولها، وبذلك انتهى حكم الهواشم من بني فليتة لها، بعد أن حكموها قرناً ونصف قرن من الزمان، وبالرغم من محاولات أبناء الشريف مكثر بن عيسى بن هاشم لاسيما ابنه محمد، المتكررة لاستعادتها، فإن ذلك لم يجد نفعاً لقوة الأشراف بني قتادة وقدراتهم على التصدي لأي هجوم كان يقوم به الهواشم الذين كانوا يحكمون مكة[61]، ولتوطيد حكمهم، وإكسابه الصفة الشرعية خطب الشريف قتادة للخليفة العباسي الناصر من على منابر مكة، كما خطب للملك العادل الأيوبي الذي كان قد تولى حكم مصر في ذلك الحين[62].

إلا أن تفاصيل كل تلك المعلومات التي أوردناها عن وضع مكة في عهد الشريف قتادة غفلت عنها بعض المصادر اليمنية، وعلى ما يبدو أن العلاقة بين الأشرف والأيوبيين قد ساءت، والدليل على ذلك ما ذكره ابن عبد المجيد[63] في أحداث 619هـ من أن الملك المسعود الأيوبي[64] سار إلى مكة لقتال الحسن بن قتادة بن إدريس؛ الذي كان قد ورث حكم مكة بعد أبيه قتادة[65]، وعلى ما يبدو أن مكة تعرضت إثر هذه الحملة لكثير من أعمال السلب والنهب والتدمير وسفك الدماء، إذ يذكر (الخزرجي)[66] أن المسعود أخذ

مكة قهراً بالسيف، ثم حرم سفك الدماء بها، وحرم النهب، وأمر بأن تصيح الصوائح بالأمان لمن كان فيها من التجار والمجاورين، وقد دخلت مكة مرحلة جديدة في تاريخها لخضوعها سياسياً للأيوبيين، فبمجرد عودة حملة الأيوبيين إلى اليمن؛ تم تعيين الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول والياً عليها من قبل المسعود[67]، ويورد ابن حاتم[68] أنه بمجرد عودة المسعود إلى اليمن قام الحسن بن قتادة بمهاجمة مكة في محاولة لاستعادتها من الأيوبيين، فقاتله الأمير نور الدين، وهزم أصحابه، وأفلت الحسن هارباً.

ظل الأمير نور الدين عمر والياً على مكة إلى سنة 620هـ، إذ يؤكد (الخزرجي)[69] أنه في العام المذكور قرر السلطان المسعود العودة إلى مصر، وعين بدلاً عنه نور الدين عمر بن علي بن رسول والياً على اليمن، وبقيت مكة تحت حكم الأسرة الأيوبية حتى عاد إليها المسعود في رمضان سنة 623هـ، وبقي فيها حتى نظم أمورها، وترك فيها عاملاً من قبله، ثم رحل من مكة إلى اليمن في سنة 624هـ[70]، وبقي فيها حتى سنة 626هـ عندما عرض عليه والده الملك الكامل ولاية دمشق، بعد أن كثرت شكواه من اليمن، وأنها لا تناسبه، ثم تقدم إلى مكة، وكلف الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول بأن يكون والياً عليها بدلاً عنه، وفي مكة مرض المسعود مرضاً شديداً أدى إلى وفاته هناك[71]، في موضع يقال له (الشبيكة) خارج مكة عند جبل طوى، ودفن بالحجون[72]، ويقال إن المسعود عندما شعر بالموت في مكة أوصى بأن لا تهلب عليه الخيل، ولا تقلب السروج، ولا يسوّد أحد من المماليك ثوباً، وأن يقبر بين الغرباء، ويذكر (ابن حاتم)[73] أن المسعود لما شعر بأنه سيموت ولن يعيش، أمر بأن يطلب له ثوبان من بعض السكان المحلين في مكة كصدقة، على الرغم من الأموال التي كان جمعها من اليمن.

2- وضع مكة بين الرسوليين والأيوبيين:

بوفاة الملك المسعود الأيوبي في مكة، واستقلال نور الدين عمر بن علي بن رسول بحكم اليمن عن الأيوبيين سنة 626هـ وتنصيب نفسه سلطاناً عليها، وتلقبه بالمنصور، أصبحت الحجاز عامة ومكة خاصة منطقة صراع بين الطرفين، لاسيما أن الملك الكامل الأيوبي أرسل لحكم مكة والياً من قبله يسمى شجاع الدين طغتكين على رأس قوة مكونة من مائتي فارس، وقد حرص السلطان المنصور نور الدين عمر منذ إعلان قيام دولته على السيطرة على الحجاز لأجل نقل الصراع بينه وبين الأيوبيين إلى خارج اليمن، ومما يؤكد ذلك ما ذكره (الخزرجي)[74] في أحداث سنة 629هـ؛ من أن السلطان المنصور نور الدين عمر بعث إلى مكة المشرفة جيشاً على رأسه أمير يقال له ابن عيدان، برفقة الشريف راجح بن قتادة[75]، وبعث معهما خزانة كبيرة، وهو أول جيش جهزه إلى الحجاز، فنزل في منطقة الأبطح، وحاصر أميرها شجاع الدين طغتكين ومن معه من قوة، ولكسب ود أهل مكة والحصول على تأييدهم أنفق طغتكين عليهم نفقة جيدة، ثم حلفهم، وأخذ منهم المواثيق، للوقوف معه ومناصرته ضد نور الدين عمر، وبالمقابل قام الشريف راجح بن قتادة بمراسلة أهل مكة، وأخذ يذكرهم بما قدمه لهم السلطان المنصور من إحسان في أثناء ولايته لمكة في

عهد المسعود الأيوبي سنة 619هـ، وقد أثرت تلك المراسلات في أهل مكة فمال إليه رؤساؤهم، وانضموا إلى جيش المنصور، وعندما شعر طغتكين بذلك خاف على نفسه، وخرج هارباً ومن معه من العسكر، وكانوا مائة وخمسين فارساً إلى ينبع، وكان فيها رتبه أو عسكر للملك الكامل، الذي أزعجه هذا الأمر بعد أن وصلت إليه الرسائل التي عرف من خلالها ما حصل، من جيش المنصور القادم من اليمن، وموقف أهل مكة إلى جانب المنصور[76]، فجهز الملك الكامل جيشاً كبيراً، عين عليه قائداً عرف بفخر الدين بن شيخ الشيوخ[77]، وأرسل إلى الشريف سنجة أمير المدينة، والشريف أبي سعد أمير ينبع، وكان من المؤيدين للملك الكامل، وأمرهما بالسير مع الأمير فخر الدين ومساندته، فسار الجميع بجيش كبير إلى مكة، وخرج لهم جيش المنصور وعلى رأسه ابن عيدان والشريف راجح بن قتادة، والتقى الجيشان في معركة عنيفة، كانت الغلبة فيها للجيش الأيوبي، وانهزم العسكر المنصوري، وقتل ابن عيدان، ودفن بمكة، وهاجم العسكر الأيوبي مكة إثر هذه الهزيمة، وبسطوا سيطرتهم عليها، وعلى ما يبدو أن عسكر الأيوبيين عاثوا في مكة فساداً، ونشروا الخوف بين أهلها، فلم يستقر الوضع فيها، للأعمال الانتقامية التي قاموا بها ضدهم بسبب موقفها إلى جانب المنصور، إذ يذكر (ابن حاتم)[78] أن فقهاء الحرم المكي، والمجاورين إثر هذه الأوضاع دخلوا على ابن شيخ الشيوخ، ووعظوه، وخوفوه من عقاب الله، وقالوا: هذا حرم الله، وهؤلاء جيران بيته، وقد أسرفت في القتل فيهم، فأمنهم، وأخرج لهم علم الملك الكامل ذمة، فأمنوا، واطمأنوا، وهدأت الأوضاع، وقد كان للمعاناة التي تعرض لها أهل مكة صداها عند الملك الكامل الأيوبي، الذي أغضبه تصرف ابن شيخ الشيوخ، وما سن فيهم من القتل، فقام بعزله بأمير يسمى ابن مجلي الذي وصل مكة حاجاً، وتسلم مقاليد الإمارة فيها.

وعلى أية حال، فقد ظلت مكة هدفاً للسلطان المنصور نور الدين عمر؛ كما هي هدف للملك الكامل الأيوبي، لذلك دفعت سيطرة الملك الكامل على مكة السلطان المنصور في سنة 631هـ إلى تجهيز خزانة من المال والسلاح إلى الشريف راجح بن قتادة، وأمره أن ينفقها على العسكر الذين كانوا معه، وأن يتقدم إلى مكة لقتال ابن مجلي، ففعل الشريف راجح ما طلب منه، فهاجم مكة على حين غفلة، فخرج ابن مجلي من مكة طالباً الديار المصرية، ودخل الشريف راجح مكة بمن معه من عسكر المنصور، وقد شجع هذا الانتصار السلطان المنصور على شد الرحال إلى مكة لتأدية فريضة الحج للعام المذكور[79]، فوصل مكة بعدد قليل من العسكر، وقضى نسكه، ورجع إلى اليمن، وقد حاول الشريف راجح تجنب اللقاء بالمنصور خوفاً منه؛ دون أن تحدد المصادر سبب هذا الخوف، بالرغم من العلاقات الطيبة التي ربطت بينهما[80].

وفي الوقت الذي تنافست فيه القوى الإسلامية الكبرى للسيطرة على مكة ، دار صراعً داخلي بين أشرافها للاستحواذ عليها، إذ تذكر المصادر أن أخوي الشريف راجح بن قتادة، وهما قاسم وعلي أخذا منه مكة قهراً في سنة 632هـ، بل عمدا إلى قناديل الكعبة وحليها، فاستباحاها، وأخذا ما فيها من أموال،

واستعانا بتلك الأموال في حربهما مع أخيهما، وتمكنا من بسط سيطرتهما على مكة مدة خمسة أشهر، حاول فيها الشريف راجح استعادتها، وتمكن من ذلك بعد أن جمع كثيراً من العسكر، استعاد بهم مكة، وعلى ما يبدو أن ولاء الشريف راجح ظل لبني رسول، لما ذكره ابن حاتم[81] من معاتبة حدثت بين الشريف المذكور والسلطان المنصور؛ أتهم فيها الشريف راجحٌ المنصور بأنه كان مؤيداً لما فعله أخوته من هجوم وسيطرة على مكة، وهو ما أنكره المنصور الذي بادر بإظهار حسن نيته بتعويض ما نهب من الكعبة من قناديل الذهب والفضة، بعث بها صحبة أمير يسمى بـ: (ابن البصري)، الذي تحرك من اليمن إلى مكة بعد أن وصل إلى المنصور خبر خروج عسكر من مصر قاصدين مكة، وقد مده المنصور بكثير من العسكر، وخزانة من المال والسلاح، ورسالة للشريف راجح يخبره بخروج عسكر مصر، ويحثه على القتال والمواجهة، ويبشره بأن الدعم المادي والمعنوي لن ينقطع عنه، لذلك بمجرد دخول ابن البصري مكة وتعليقه قناديل الكعبة، كان العسكر المصري يتقدمه الأمير جبرئيل، وخمسمائة فارس من الترك والكرد، وعدد من الأمراء هم: أسد الدين ابن أبي زكريا، والبندقي، ومبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس، ووحد السبع وغيرهم، قد وصولوا إلى (وادي الجموم)[82]، وأمام هذه القوة، لم يكن أمام الشريف راجح إلا الانسحاب من مكة، فخرج منها، ودخلها العسكر المصري بغير حرب في آخر العام المذكور[83].

وبالرغم من الموقف الذي أقدم عليه الشريف راجح بانسحابه من مكة فإن ذلك لم يمنع السلطان المنصور من دعمه مرة أخرى في سنة 634هـ، رغبة منه في طرد الأيوبيين عن مكة، لخوفه أن تصبح مكة قاعدة يهاجمون من خلالها اليمن، فجهز عسكراً كثيفاً، وعين عليهم الأمير الشهاب بن عيدان، وقد تحركت تلك القوات إلى مكة فنزلت في موضع قريب منها يقال له (الخريفين)، يعرفه (الخزرجي)[84] بأنه بين مكة والسِّرين[85] لا يبعد عنها سوى بثلاث ليال، وكان الشريف راجح قد هيئ للأمر، وتواصل مع بعض قبائل المنطقة مثل بني كنانة، وبني شعبة الذين كانوا من المؤيدين للسلطان المنصور وحكمه لمكة، وقد دفع هذا الأمر الأمير جبرئيل إلى الخروج إليهم والتصدي لهم في معركة، ظهرت من خلالها نوايا القبائل المذكورة التي تهازمت طمعاً في العسكر المنصوري، وأمام هذا الأمر صمد الأمير الشهاب بن عيدان، هو ومن معه من العسكر، وقاتلوا يوماً كاملاً، وأبلوا بلاءً حسناً، وانتهت المعركة بالقبض على ابن عيدان وأسره، وإرساله إلى الديار المصرية، وقد عظم هذا الأمر على السلطان المنصور، الذي جهز نفسه للخروج إلى مكة، بعد أن جمع عدداً كبيراً من العسكر، وصل عددهم إلى ألف فارس، سار بهم من اليمن إلى السرين في سنة 635هـ، ومن هناك بدا المنصور بمراسلة أمراء بني أيوب وجندهم في مكة، وعلى رأسهم جبرائيل، وأخذ يستميلهم، ويعدهم بالإحسان، ويرغبهم في العطاء، وكان سخياً فيما وعدهم به من أموال وعطايا وألقاب، ووعد كل فارس يصله من المصريين بألف دينار، وحصان، وتشريف، وكسوة، فمال إليه أكثر المصريين، ودخلوا في خدمته[86]، مثل: مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس، وفيروز وغيرهما[87].

لقد كانت مكة من أهم المناطق التي ركز عليها السلطان المنصور، وبذل الغالي والنفيس لأجل إخضاعها لحكمه، ويذكر (ابن حاتم)[88] أن المنصور من أجل أن يشق عصى العسكر المصري المرابطين في مكة استخدم الحيلة في ذلك، فكانت سبباً في اختلافهم، وتخوين كلٍّ منهم الآخر، وقد بلغ الأمر بالأمير جبريل نتيجة لاختلافه مع بقية الأمراء في مكة إلى إحراق (الفرش خانة) و(الحوائج خانة)، والهرب إلى خارجها، حتى أنها بقيت سبعة أيام خالية من العسكر[89]. ويذكر (الخزرجي)[90] أن إحراق الأمير جبرئيل لما معه من عدة وسلاح، وهربه عن مكة كان بسبب ما جاء به عيونه وجواسيسه من أن السلطان المنصور قد خرج من اليمن قاصداً مكة بجيش كبير عبر الساحل، وأنه وصل منطقة السَّرين، والتحم بالشريف راجح الذي كان قد أنعم عليه المنصور، فدخل مكة معتمراً في شهر رجب سنة 635هـ، وأنفق على العسكر، وتصدق بأموال جزيلة على أهلها[91]، وجعل رتبة مكة مائة وخمسين فارساً، وجعل عليهم ابن الوليدي وابن التعزي، فأقاموا فيها إلى نهاية سنة 636هـ، في حين يذكر أن الأمير جبرئيل هرب إلى المدينة، وهناك وصله خبر وفاة الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب مصر في دمشق، فندم هو وكل من كان معه من العسكر، لأنهم لم يميلوا إلى السلطان المنصور[92].

ظلت مكة خاضعة لحكم بني رسول حتى سنة 637هـ عندما وصلها الأمير شيحة بن قاسم بن مهنا صاحب المدينة، على رأس جيش مكون من ألف فارس، كان قد دعمه بهم الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل الذي كان قد تولى بعد وفاة والده الملك الكامل في أثناء زيارته له، وقد دفع هذا الأمر ولاة السلطان المنصور، ابن الوليدي وابن التعزي إلى الخروج منها هاربين خوفاً على نفسيهما[93]، وقد أثار هذا الخبر السلطان المنصور الذي جهز جيشاً كبيراً، وضع على رأسه ابن البصري والشريف راجح، فهرب عسكر الأمير شيحة عن مكة تجنباً للحرب عندما وصلهم خبر جيش المنصور، وخضعت مكة مرة أخرى لحكم السلطان المنصور[94].

وفي سنة 638هـ جهز الملك الصالح ابن الملك الكامل عسكراً إلى مكة لانتزاعها من الحامية اليمنية التي كانت فيها، بعدما وصله الأمير شيحة مستنجداً به إثر هربه من مكة، فأرسل معه مائة وستين فارساً، وجعل عليهم مقدمين هما علم الدين الكبير، وعلم الدين الصغير، فهاجموا مكة وأخذوها من عسكر المنصور وحجوا بالناس في هذا العام[95]، ولكن أوضاع مكة لم تستقر بسبب أطماع حكام اليمن وحكام مصر فيها، ومما يؤكد ذلك الحملة العسكرية التي جهز لها السلطان المنصور سنة 639هـ بصحبة الشريف علي بن قتادة، وعلى ما يبدو أن هذه الحملة كان لها صداها، لدرجة دفعت الحامية المصرية في مكة إلى الاستعانة بالملك الصالح في مصر، فأرسل إليهم الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس وابن التركماني، ومائة وخمسين فارساً، وقد دفع هذا الأمر بالشريف علي بن قتادة إلى أن يبقى في السرين، ويرسل إلى السلطان المنصور يخبره بالوضع من أرض الواقع، ولخطورة الموقف تجهز السلطان المنصور

بنفسه إلى مكة في عسكر جرار، وأموال كثيرة، ومعنوية مرتفعة، أفزعت الحامية المصرية التي ولت هاربة بعد أن أحرقت دار المملكة في مكة بما فيها من عدة وسلاح وعتاد، فدخل المنصور مكة، وصام شهر رمضان فيها[96]، وعلى ما يبدو أن هذا الانتصار دفع كثيراً من رجال الأيوبيين إلى الانخراط في جيش المنصور، مثل الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس الذي وصل إلى المنصور في عدة من بني عمه وأصحابه، طالبين الخدمة عند المنصور، الذي استقبلهم وأنعم عليهم، وكساهم جميعاً، ورغبة في إقرار الوضع في الحجاز أرسل المنصور إلى صاحب ينبع، وأكرمه وأنعم عليه بمجرد وصوله، وضمه إلى قادته، واشترى منه قلعة ينبع، وأمر بخرابها حتى لا تبقى وكراً للقوات المصرية، تنطلق منها كلما أرادت مهاجمة مكة، أو تتحصن فيها كلما أرادت الخروج من مكة[97].

وعلى ما يبدو أن مدة خضوع مكة لحكم السلطان المنصور كانت من أفضل الفترات، إذ يذكر (ابن حاتم)[98] أن المنصور بعد أن استقرت له الأمور في مكة سنة 639هـ نشر العدل فيها، وأزال المكوس[99]، ووثق إزالتها بأن كتب مربعة[100]، وأمر بأن تعلق على زمزم في مقابلة الحجر الأسود، ثم عاد إلى اليمن بعد أن رتب في مكة (فخر الدين إياس السلاح)، و(بدر الدين محمد بن فيروز)، و(الشريف أبا أسعد) بـ(الوادي). وقد انعكس هذا الاستقرار على حياة أهلها والقادمين إليها، ويذكر (ابن حاتم)[101] أنه بسبب عدم استقرار الأوضاع في بلاد الحجاز ومكة؛ انقطع الحاج العراقي عنها مدة سبع سنوات، حتى سنة 640هـ بعد أن خضعت للمنصور، فوصلت كسوة الكعبة في هذا العام من الخليفة المستعصم بالله بن المستنصر العباسي في بغداد، ونثرت الأموال من الذهب والفضة على الكعبة بعد كسوتها، وحصل أهل مكة على صدقات طائلة من الخليفة المذكور، وهي إشارة تدل على عودة الاستقرار.

وقد مكنت حالة الاستقرار التي حظيت بها مكة في قيام الدولة الرسولية بإنشاء بعض المرافق التعليمية من مدارس وزوايا والأربطة، مثل المدرسة المنصورية التي بناها السلطان المنصور، التي وصفها (الجندي)[102] بحسنها، وأن سائر الملوك يغبطونه عليها، كما تم تعمير الأربطة مثل (رباط الشراني) في سنة 641هـ[103]، وأمن طريق الحاج والمسافر من اليمن إلى مكة والعكس؛ بعمارة البرك، وهو جبل متصل بالبحر فيما بين مكة واليمن، ووضع فيه حامية من الجند، لمحاربة أي قوة طامعة مثل بني أيوب[104]، وبذل ابن السلاح والي المنصور على مكة جهوداً كبيرة لنشر الأمن والاستقرار في الحجاز؛ فقام ببناء الحصون و(المصانع) بين مكة والمدينة، ورتب فيها العسكر لحمايتها[105]، وقد شهدت مدة ولايته لمكة زيارة عدد من الشخصيات رفيعة المستوى في ذلك الحين، مثل: أم الخليفة المستعصم العباسي، و(الدويدار) مقدم الحاج العراقي، ولمكانتهم الرفيعة جهز لهم السلطان المنصور هدية عظيمة من اليمن، وأمر واليه ابن السلاح بخدمتهم إلى أن يعودا إلى العراق، ويذكر (ابن حاتم)[106] أن سنة 641هـ كانت سنة عظيمة، كثيرة الخير، غزيرة الرزق على أهل مكة[107].

وفي سنة 646هـ ساءت أوضاع مكة مرة أخرى، وذلك بعد أن عرض شمس الدين محمد بن المسيب على السلطان المنصور أن يسلمه الحجاز، مقابل مائة حصان، ومال نقد يُحمل إلى خزانة السلطان، فأجابه المنصور وعزل إياس بن السلاح من ولاية مكة، وبمجرد توليها هم بالخلاف فيها بعد أن غير كل الاصلاحات المالية التي كان قد وضعها السلطان المنصور، لاسيما أمر الجبايات والمكوس التي اسقطها عن أهل مكة، فرفع المربعة التي كانت معلقة على زمزم، وأعاد فرض الجبايات والمكوس كما كانا، وأظهر جبايات أخرى، واستولى على الصدقات التي كانت تصل من اليمن من السلطان المنصور، وأخذ من المجد بن أبي القاسم المال الذي كان تحت يده للملك المظفر، وجمع من ذلك أموالاً كثيرة[108]، وبنى بها حصناً في جبل أبي قبيس، وحصناً في نخلة يسمى العطشان، ومنع الجند النفقات، وهم بالخلاف، واستحلف قبيلة هذيل له، فتفرق الجند عنه، ودخلوا اليمن، ولم يبق منهم إلا القليل، وعندما بلغت أفعاله الشريف أبا سعدة الحسن بن علي بن قتادة؛ قبض عليه في شهر ذي العقدة وقيده، واستولى على كل ما معه من مال وخيل ومماليك وغير ذلك، وأحضر شيخ الحرم والمجاورين فيه وأكابر مكة وأعلمهم بأنه ما قبض على ابن المسيب إلا لما فعله من خلاف على السلطان المنصور، وما نهبه من أموال أراد بها الهرب إلى العراق، وأخبرهم بأن ما سيطر عليه محفوظ عنده حتى يأتي رد السلطان على ذلك، كما أعلمهم بأن البلاد بلاد السلطان، وأن ما هو إلا غلام عنده، وفي هذا الوقت قتل السلطان المنصور نور الدين عمر في قصره بالجَنَد على يد عدد من مماليكه في ذي القعدة سنة 649هـ[109].

3- مكة في عهد السلطان المظفر يوسف بن نور الدين عمر:

كان لمقتل السلطان المنصور تبعات مختلفة، منها انشغال أبنائه بصراعاتهم الداخلية عن حكم الحجاز لاسيما مكة التي بذل والدهم الكثير لأجل إخضاعها لحكمه، وتهيئة الظروف المناسبة لئن تخضع مكة لسيطرة الشريف أبي سعدة الذي وجد فيما حصل للمنصور فرصة لأن يبسط يده عليها، فضلاً عن سقوط الدولة الأيوبية – المنافس الرئيس له – في مصر، وهنا تحقق للشريف المذكور ما تمناه، وحكم أربع سنوات إلا شهراً، قتل بعدها في وسط داره بمكة سنة 651هـ على يد ابن عمه حماد بن حسن، الذي أقام فيها، وحج بالناس في هذا العام، وفي السنة التي تلتها 652هـ أخرج الشريف حماد من مكة، بعد مهاجمة الشريف راجح بن قتادة، وأبي نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة، وإدريس بن قتادة، وأقاموا بها شهر شوال[110].

وقد كان لاستقرار الأوضاع في اليمن للسلطان المظفر يوسف بن نور الدين عمر دور في إعادة تفكير بني رسول لفرض سيطرتهم على مكة مرة أخرى، لاسيما بعدما شهدته من أحداث وصراعات بين الأشراف، انتهت ببسط الشريف راجح بن قتادة عليها، لذلك جهز السلطان المظفر في شوال من السنة

المذكورة الأمير مُبارز الدين بن برطاس إلى مكة[111] في مائة فارس، فلما علم الشريفان أبو نمي وإدريس بن قتادة بقدومه بعثا إلى الشريف جماز بن شيحة يسألانه المساعدة، فأستجاب لهما، وانضم إليهما في خمسمائة فارس، فالتقى الجميع على باب مكة في درب المسفلة أسفل مكة، ودخل الأمير مبارز مع الأشراف في معركة هزم فيها الأشراف، وقتل عدداً منهم، ودخل مبارز الدين مكة، وحج بالناس في العام المذكور، بعد أن شرد من بقي من الأشراف في مناطق مختلفة، وبمجرد انتهاء موسم الحج أعاد الأشراف تجميع أنفسهم، وقصدوا مكة لمحاربة مبارز الدين الذي خرج إليهم من ثلاثة مواضع عند مداخل مكة، تولى هو ومماليكه ومائة فارس أحد تلك المواضع عند الحلقة على درب المعلاة، وتمركز ابن فارس وابن سنان في مائة فارس في درب الثنية، وبقى فخر الدين بن مودود في مائة فارس على درب المسفلة، وقد عسكر مبارز الدين ومن معه في تلك المواقع لتوقعه دخول الأشراف إلى مكة عبرها، في الوقت الذي اتفق مع بقية قادته وفرسانه على أن من انهزم عليه الفرار إلى دار المملكة[112].

ويصف لنا ابن حاتم[113] تفاصيل المعركة التي دارت في المواضع الثلاثة من مكة، فيذكر أن الأشراف اعتلوا جبال مكة عند مهاجمتها، فدخل أبو نمي من جبل يقال له (البوني أو النوني)، فنزل على الرتبة التي على درب المعلاة، وهزمهم، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وواصل زحفه طالباً الأمير مبارز الدين، ونزل الشريف إدريس من جبل يقال له أم عليان من أسفل مكة، ووصل حتى درب المسفلة، إلا أنه لقي مقاومة عنيفة من عسكر ابن برطاس الذين هزموه وطاردوه حتى عُقر فرسه من تحته، ولكنه نجا منهم، ثم أعاد مهاجمتهم بمن معه، فهزمهم حتى نزلوا عن خيولهم، وتفرقوا في الحرم الشريف، وبين بيوت أهل مكة، في حين بقي جماز بن شيحة في درب المعلاة، ودخل أبو نمي مكة، ووضع هدفه الرئيس الأمير مبارز الدين بن برطاس الذي لقيه في الأبطح، ودارت بينهم معركة أصيب على إثرها أبو نمي من قبل أحد مماليك ابن برطاس بإصابات بليغه، اعتقد ابن برطاس أنه قد قتل بسببها، وقد شجع هذا الأمر ابن برطاس إلى ملاحقة الشريف إدريس الذي اختفى في شوارع مكة، وعلى ما يبدو أن الأشراف استخدموا الحيلة في هذه الحرب، وأخذوا يقتنصون من يجدونه من المماليك الذين بقوا مع ابن برطاس، حتى لم يبق معه إلا القليل منهم، وعندما شعر ابن برطاس بالهزيمة حاول اللجوء إلى الحرم الشريف، وعندما فشل حاول الدخول إلى رباط الخليفة، ويبدو أنه من الأربطة المقدسة في مكة، إلا أن الأشراف بني الحسين أهل المدينة، وبني الحسن أصحاب مكة، التفوا عليه ليأسروه، فسبقهم إليه شخص يسمى مسهر بن هاشم، ابن عم جماز بن شيحة وأسره، وهاجمت القبائل المؤيدة للأشراف مماليك ابن برطاس وأسروهم، وأخذوا ما معهم من أموال وذهب وغيرها، وهو ما دفع ابن برطاس إلى أن يشتري نفسه بخمسة آلاف دينار اقترضها من الشريف راجح، وعاد بعدها إلى اليمن، وسيطر الشريفان أبو نمي بن أبي سعد، وإدريس بن قتادة على مكة سنة 653هـ.

وكيفما كان الأمر، فقد بقيت مكة تحت حكم الشريفين المذكورين، ولكن المصادر اليمنية التي بين أيدينا تغفل الحديث عن وضع مكة السياسي خلال تسع سنوات من سنة 653 – 659هـ، وهي السنة التي قرر فيها السلطان المظفر زيارة مكة لتأدية فريضة الحج، فخرج في شوال سنة 659هـ إليها على رأس قوة كبيرة محملة بالصدقات المختلفة لأهل مكة، فكان منها ما يسير في البحر، ومنها ما يسير في البر بالعلوفات والأطعمة، ولما اقترب من مكة خرج عنها الشريفان إدريس بن قتادة وأبو نمي بن أبي سعد خوفاً منه، ودخل المظفر مكة بين عساكره وجنوده داعياً ملبياً، وتقدمت عساكره وجنوده فحطت في الحجون في انتظار إكماله لشعائر الحج، ومما يذكره (الخزرجي)[114] أنه في أثناء وقوف السلطان المظفر بعرفة رفعت الأعلام المصرية والأعلام المظفرية، وقد أشار عليه بعضهم بأن يقدم أعلامه على الأعلام المصرية، فكان رد السلطان المظفر على ذلك بالرفض معتبراً هذا الأمر معيباً في حقه، وهي أعلام ملك كسر التتار، يقصد بذلك المماليك، وقد بقي السلطان المظفر بمكة عشر أيام بعد الحج يتعبد، ويخدم البيت الشريف، ويغسله بيده وينظفه، ويوزع الصدقات على أهل مكة، حتى وصلت إلى كل بيت فيها، وبلغت جميع الحجاج، وتقديراً لدور مصر جهز المظفر حجاجها، وأنعم عليهم وزودهم بالكسوات والمراكب، وقبل مغادرته كسا البيت المعظم، ونثر عليه الذهب والفضة، وأنعم على رؤساء الحرم الشريف.

وعلى أية حال، فقد بقيت مكة تحكم من قبل الشريفين إدريس بن قتادة وأبي نمي حتى سنة 669هـ، وهي السنة التي قتل فيها الشريف إدريس، فيتولى حكم مكة من بعده الشريف أبو نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسني؛ الذي ظل والياً عليها حتى توفي في شهر ربيع الآخر من سنة 701هـ، وقد وصفه (الخزرجي)[115] بأنه كان أميراً كبيراً له حظ وافر في الإمارة، راغباً في الأدب وسماعه، وله الإجازات للشعراء الوافدين عليه من إطلاق الخيال وإجازات القصائد، وكانت علاقته طيبة بالسلطان المؤيد داؤد بن المظفر يوسف، وقد شهدت مكة في السنة المذكورة 669هـ زيارات عدد من القيادات الإسلامية، مثل زيارة صاحب مصر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، الذي جاء لمكة قادماً من الديار المصرية حاجاً[116].

ظل السلطان المظفر يوسف الذي حكم اليمن إلى نهاية القرن السابع الهجري، وتحديداً سنة 694هـ يشعر بمسؤوليته تجاه مكة المكرمة، بالرغم من خضوعها لحكم الأشراف، ومما يؤكد ذلك قيامه في سنة 661هـ بإرسال كسوة الكعبة، وكسوة الحجر الشريفة، وإصداره لأوامره في سنة 666هـ بتحلية باب الكعبة بالذهب والفضة على يد رجل متخصص في ذلك يعرف بابن التعزي[117]، كما بعث في سنة 671هـ بكسوة الكعبة على يد قاسم بن محفوظ[118]، مع أن هناك إشارات تومئ إلى أن مكة خضعت لحكمه، ونستدل على ذلك من خلال الأبيات الشعرية التي أوردها (الجندي)[119] عن ابن دعاس أحد شعراء السلطان المظفر، والتي يقول فيها:

يا قائلاً أتراك تعلم ما جرى أتريد عكس الأمر وهو مقدرا

ما ينبغي هذا لمخلوق ولو جاءت لجمع جنوده الإسكندرا

انظر إلى عدن أطاعت أمره وإلى زبيد ومكة أم القرى

وعلى ما يبدو أن أشراف مكة، بالرغم من تواصلهم الخفيف مع حكام اليمن، ظلوا يتخوفون منهم ومن أي تصرف قد يصدر عن أحدهم، ومما يؤكد ذلك أن السلطان المؤيد داود بن المظفر يوسف (696 – 721هـ) عندما أرسل سفيره الفقيه أبا الربيع سليمان بن محمد بن الشيخ عمران الصوفي (ت: 710هـ) إلى صاحب المدينة في سنة 698هـ لقيه الشريف أبو نمي صاحب مكة، وقبض عليه وصادره هو ومن معه بمال كثير، بعد أن علم أنهم جاءوا له ولأذيته[120].

خلاصة القول، أن مكة خلال القرن السابع الهجري شهدت حالة من عدم الاستقرار السياسي، إذ أصبحت ميدان للصراع بين عدد من القوى الإسلامية، ومن الملاحظ من خلال هذا الصراع أن المدة التي خضعت فيها مكة لحكم أحد أفراد الأسرة الرسولية، أو أحد أمرائهم أو ولاتهم كانت المدينة تشهد نوعاً من الهدوء والسكينة، ويعيش سكانها حالة من الاستقرار الاجتماعي الذي أثَّر على كل نواحي الحياة التجارية والاجتماعية والعلمية، وهو ما نحن بصدد دراسته في المباحث القادمة.

المبحث الرابع:

الوضع الاقتصادي في مكة في القرن السابع الهجري:

عُرفت مكة عبر تاريخها الطويل بكونها مركزاً تجارياً متميزاً، تفد إليه القوافل من شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وقد أسهم هذا الأمر في أن تصبح من بين أهم المراكز التجارية في القرن السابع الهجري، نتيجة لما تقام فيها من أسواق تجارية، تنتعش في مواسم الحج والعمرة وغيرها، وتؤكد المصادر التاريخية أنه قد انتشر في أسواق مكة المحلات التجارية، وما يعرف بالوكالات المتخصصة ببيع سلع تجارية بعينها، بعد تصديرها من البلاد المجاورة لها، ويُذكر أن المظفر يوسف بن السلطان نور الدين عمر كان ممن انفرد بمثل بعض هذه الوكالات التجارية، فعمل بتجارة الطعام (الحبوب) إلى مكة، عبر التاجر (المجد ابن أبي القاسم)، مما جاء بنتائج طيبة على مكة ونفع على أهلها، بعد أن بلغ الطعام في المتاجر والحوانيت ستة أمداد بدينار[121]، وعلى ما يبدو أنه كان لحالة الهدوء والاستقرار إسهام كبير في انتعاش تجارة مكة، ومما يؤكد ذلك ما ذكره (ابن حاتم)[122] عن سنة 641هـ التي تعد من أفضل سنوات الخير على مكة وأهلها، أنها كانت سنة عظيمة، كثيرة الخير، غزيرة الرزق على أهل مكة، نعم فيها المكيون– خلال ولاية ابن السلاح إلى سنة 646هـ، أي خلال سبع سنوات– بخير كثير، فكسبوا الأموال، وبنوا الدور، وحلوا النساء بالذهب

والفضة، وكانت أيامهم في هذه السنين مواسم وأعياداً، زادها الصدقات العظيمة والعميمة المتواصلة التي كان يرسلها لهم السلطان المنصور على يد الأمير شمس الدين علي بن خليجان.

وقد زاد من انعاش تجارة مكة في بعض سنوات القرن السابع الهجري، سعي بعض سلاطين بني رسول وولاتهم إلى سن بعض التشريعات التي بموجبها تم إزالة بعض الضرائب والمكوس التي كانت تفرض على التجار، ووثقوا ذلك بتدوين تلك التشريعات والنظم، وتعليقها على بئر زمزم، مقابل الحجر الأسود[123] حتى تكون على مرأى ومسمع جميع التجار والزوار والمختصين بجمع الضرائب المفروضة على أهل مكة وزوارها.

1- اسواق مكة:

تنوعت أسواق مكة بين أسواق متخصصة ببعض الصناعات والحرف مثل أسواق دباغة وصباغة الجلود المختلفة[124]، وبين أسواق لبيع البضائع التي كان مصدر بعضها مكة نفسها، وبعضهم الآخر من خارجها، سواء بيعت في أسواقها ام نقلت منها إلى مكان آخر، وتعد أسواق بيع الكتب من بين الأسواق التي عرفتها مكة، لدرجة أن الكثير من العلماء والفقهاء كانوا يرسلون منتجاتهم العلمية لتباع هناك[125]، وعلى ما يبدو أن أسواق بيع الكتب، وأسعارها كانت منتعشة لدرجة اتجاه الفقهاء والعلماء إليها عند بيعهم لكتبهم.

لقد حاولنا من خلال دراستنا هذه؛ البحث عن أنواع البضائع التجارية التي كانت تزخر بها أسواق مكة المكرمة خلال القرن السابع الهجري، في محاولة لرصد ما يمكن الحصول عليه من هذه البضائع، وتمكنا من جمع أسماء بعض هذه البضائع التي ورد ذكرها في عدد من المصادر اليمنية التي دونت في القرن المذكور، لاسيما كتاب: (نور المعارف) الذي يشكل مادة علمية هائلة، وثروة من الصعب على أي باحث في تاريخ مكة الاستغناء عنها أو إهمالها أو غض الطرف عنها، ومن أهم هذه السلع التجارية التي بيعت في أسواق مكة، وصدرت منها إلى البلاد المجاورة:

الأديم الطائفي[126] الذي كان يصنع في مدينة الطائف شرق مكة، وكان من أكثر السلع التجارية التي تباع في أسواق مكة، لما كان عليها من طلب متزايد من قبل تجار وأهالي بلاد الشام ومصر والعراق. والتمر، والعسل، والسكر، والشراب، والبقسماط[127]، والخروب (نبتة يتداوى بها الناس)، واللوز، والبندق، والماء المعطر أو ماء الورد بأنواعه، وجميع حوائج العطريون، والزعفران، والزفورات (وهي اللحم والشواء والهريس)، وأبراد سابورية تصنع في سابور من بلاد فارس وتشحن إلى مكة لتباع في أسواقها ومنها إلى بقية البلاد الإسلامية، وأبراد عراقية، وثياب متنوعة ومنها الثياب الفارسية التي كان لها رواج في أسواق الثياب في مكة، وثياب تيمية كانت تحاك في مكة، والثياب التي عرفت بالحلل – نوع من الملابس الفوقانية –، وشقق أو أقمشة كتانية، وملابس كتانية، وكَاغِد أو ورق عراقي، وكحل أصبهاني يستخرج من بلاد أصبهان، ويباع في أسواق مكة، ومحلب بأنواعه منقا ومقشر وهي شجرة يستخدم ثمرها في صنع الطيب، ومعاجر ملونة، وهي أقمشة من حرير أو كتان ملون، يطوى ويشد على الملابس في موضع الخصر،

فيكون بديلاً عن الحزام بالنسبة للرجال، والزنار بالنسبة للنساء، ومعاشر خلنج تستخدم للحلوى وغيره، وبأحجام مختلفة ومنها الكبير، وهي أطباق من نحاس فسيحة، يبدو أنها فارسية، ومقاطع أو عمائم بيض تميل إلى اللون اللبني، وملابس نصافي، مذهبة ورفاع وبغدادية، كانت تلبس في الجزء العلوي من الجسم للرجال والنساء وغيرها[128]، ويذكر أنه كان يباع في أسواق مكة الحوائج، والعطور، والثياب، والسكر، والعسل، والحوائج الحلوة، واللحم، والشحم، والهريسة، والمجبنة، والسمن، والزيت، والخل، والحنطة وسائر الحبوب، والأدم بأنواعه وغير ذلك[129].

2- المعاملات المالية في مكة:

اختلفت العملات والدراهم التي تعاملت بها أسواق مكة في البيع والشراء، وتورد لنا وثائق كتاب:(نور المعارف) بعض تلك العملات التي كان مصدر بعضها مكة، ومصدر بعضها الآخر البلاد التي ارتبطت مع مكة بعلاقات تجارية، أو التي سيطرت على مكة خلال القرن السابع الهجري، ومن أبرز تلك العملات التي تداولتها أسواق مكة:

أ- الدراهم الكاملية، وهي دراهم مصرية كانت تسك في مصر، ومن الملاحظ أنها تنسب إلى الملك الكامل الأيوبي، وتساوي كل أربعة دراهم منها ديناراً، وتتكون من عشرة أقفال، ست أقفال منها فضة والباقي نحاس[130].

ب- القيسانية: وهي دراهم يقول عنها (المحقق اليمني محمد عبد الرحيم جازم) إنها عملة مكية، كانت تضرب سنوياً في موسم الحج (ذي القعدة وذي الحجة) من كل عام، ويتعامل بها في مكة فقط إلى جانب العملات الأخرى[131].

ج- الدراهم الكبار: وأول من ضربها المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب في اليمن، وتعاملت بها أسواق مكة، وأول من ضربها في مكة الملك المسعود يوسف بن الكامل، على قوانين أهل اليمن[132].

د- الدينار الملكي أو المكي: وهو من الدنانير التي عرفت في مكة، وتعامل به أهلها في القرن السابع الهجري، يبدو أنه كان يضرب في مكة نفسها[133].

هـ- المظفرية: وهي دراهم استخدمها أهل مكة في معاملاتهم اليومية وفي أسواقهم، وتنسب إلى السلطان المظفر يوسف بن نور الدين عمر بن علي بن رسول، ثاني سلاطين البيت الرسولي في اليمن، ورغم انتشارها في مكة إلاّ أن التعامل بها كان محدوداً، لميلهم إلى الدراهم الكاملية[134].

علماً بأن دور الضرب التي كانت موجودة في مكة تأخذ سك الدراهم القيسانية بضمانة ستة آلاف دينار قيسارية، تسلم للشريف أبي نمي المتوفى سنة 701هـ، والدينار القيساني عبارة عن درهمين وربع مظفري[135]، وقد استعملت أسواق مكة في القرن السابع الهجري السنجة[136] أو الصنجة[137]، وهي عيار

يوزن به مثل الرطل والوقية[138]، ويعد صرف سنجة مكة أقل بكثير من سنجة مصر، بما مقداره سبعة دراهم في كل مائة درهم، في حين تكون المائة درهم التي بسنجة مكة مائة درهم مظفري.

المبحث الخامس:

الحياة العلمية في مكة في القرن السابع الهجري:

مثلت مكة عبر التاريخ مركزاً ثقافياً وعلمياً بارزاً تتجمع فيه العديد من قبائل العرب لسماع الأخبار، وتبادل الثقافات، ووضع الجديد ليصل إلى مختلف البلاد عبر الحجاج والمعتمرين والتجار، وقد أسهم ظهور الإسلام في زيادة أهمية مكة الدينية والعلمية والثقافية، فصارت قبلة للعلماء والفقهاء وطلاب العلم ممن أرادوا زيارة بيت الله الحرام، لزيادة مداركهم العلمية، لما وجد في مكة من شخصيات علمية بارزة ذاع صيتها في الآفاق، وقد شهدت مدة القرن السابع الهجري بروز عدد من المقومات التي زادت من أهمية مكة العلمية، منها: أنها شكلت ملتقى يتعرف من خلاله الناس على كل جديد يظهر في العالم الإسلامي، ومكاناً تتناقل فيه الأخبار لاسيما العلمية، إذ يذكر (الجندي)[139] أنه عندما عاد هارون بن عثمان بن محمد بن علي بن أحمد الحساني الحميري المعروف بابن جعام من مكة قدم إليه الجندي في منزله، وسلم عليه، وسأله عمّا سمع بمكة، فأخرج له كتاب (الرقائق) لابن مبارك، وناوله إياه، فأعجبه وأقام على قراءته أياماً، ويقول الجندي: غالب ظني أنني أكملته، وكان الكتاب معدوم النظير في الدين وطلب الحل والاتجار.

كما شهدت مكة وجود عدد من المدارس العلمية الشهيرة التي برزت في ذلك الحين، مثل المدرسة المنصورية التي بناها السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول، ووصفت بحسنها، وبأن الملوك يغبطونه عليها[140]، كما وجد فيها الأربطة المختلفة التي مثلت صروحاً علمية لطلاب العلم، مثل رباط الخليفة الذي ذكره (ابن حاتم)[141] في أثناء حديثه عن هرب ابن برطاس من الأشراف، ورباط الشيخ ربيع[142]، ويؤكد لنا (الجندي)[143] مدى الأهمية التي احتلتها مكة في القرن المذكور بقوله أنه سمع في سنة 690هـ رجلاً من أهل مكة من أهل الدين و العلم والصلاح يقول إنه: في كل سنة يدخل مكة من العلماء جمع كثير، ففيهم من يجاور ويقيم، وفيهم من يذهب إلى بلده.

1- المجاورون في مكة من العلماء والمشايخ:

تورد لنا بعض المصادر اليمنية أسماء لعدد من العلماء والفقهاء ممن جاوروا الحرم في القرن السابع الهجري، وأقاموا في مكة لفترات زمنية مختلفة، فضلاً عمّن جاء إليها لتلقي العلم على يد كبار علمائها ومشايخها، ومن أبرز هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

- الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن إسماعيل بن أبي الصيف (ت: 609هـ)، سكن مكة، وانتهت إليه رئاسة الفقه بها بعد الفقيه محمد بن مفلح الأبيني، ويعد أحد الحفاظ المعروفين فيها، وقد لقي عدة من الفقهاء والمحدثين، وعاصر جمعاً منهم، مثل: الحافظ السلفي[144]، وابن الجوزي[145] وغيرهما، ولم يزل في مكة على الحال المرضي حتى تُوفي فيها[146].

- الإمام أبو الفتوح نصر بن علي بن أبي الفرج بن علي بن محمد الحُصري البغدادي(ت: 619هـ)، الذي وصف بأنه إمام كبير جامع لفنون شتى، وقد أقام بمكة سنين إماماً للحنابلة في الحرم المكي الشريف[147].
- الفقيه أبو عبد الله بطال بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي (ت: بعد 630هـ)، رحل إلى مكة، ولبث فيها أربع عشر سنة، وهناك لم يكن يترك أحداً من الواردين والمقيمين إلا أخذ عنه[148].
- الفقيه أبو الفضل الحسين بن محمد بن الحسين الصغاني (ت: 640 وقيل 650هـ)، جاء من بلده سمرقند في بلاد ما وراء النهر، وأقام في عدن، ثم رحل في آخر عمره إلى مكة، وأقام فيها مجاوراً بمكان يسمى الملتجى، وتوفي هناك، وقبره مشهور هناك ويزار[149].
- الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عروة الفشلي (ت: 661هـ)، الذي ارتحل من اليمن إلى مكة والمدينة، وأخذ عن أعيان مشايخها كابن أبي الصيف[150]، وعمر بن عبد المجيد القرشي[151] وغيرهما[152].
- الشيخ إبراهيم بن محمد بن حجر (ت: 677هـ) الذي عرف عنه كثرة العبادة والتنسك، وقد سكن مكة، وأقام بها حتى توفي في شوال من السنة المذكورة[153].
- الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن حسين بن علي الفارسي التيمي (ت: 677هـ)، زار مكة وجاورها ستة عشر عاماً[154].
- الفقيه الإمام الحافظ أبو الخير بن منصور بن أبي الخير الشماخي السعدي الحضرمي(ت: 680هـ)، زار مكة وأدرك جماعة من كبار علمائها، وأخذ العلم عنهم، مثل: ابن الحميري[155] وغيره[156].
- الفقيه الصالح أبو سعيد عبيد بن أحمد بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود بن عليان بن هشام الترخمي (ت: 694هـ)، سافر إلى مكة وأخذ عن أبي النعمان بشير بن أبي بكر التبريزي[157].
- محمد بن علي الكاشغري (ت: 705هـ) نسبة إلى بلد بأقصى بلد الترك، أقام في مكة أربع عشر سنة، صنف بها كتاباً سماه مجمع الغرائب ومنبع العجائب، في أربعة مجلدات[158].
- الشيخ أبو العباس بن أبي عمر بن قبال القزويني، ولد سنة 639هـ، وقد أقام مع والده في مكة سنين عديدة، وأدرك جمعاً من فضلائها، كابن عساكر[159]، وابن خليل[160]، وابي الفضل المريسي[161]، والفاروتي[162]، والدلاصي[163] وغيرهم[164].

- أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن محمد (ولد سنة 680هـ)، صاحب كتاب: " بهجة الزمن في تاريخ اليمن "، عاش في عدن، ثم نقله والده وجميع أخوته إلى مكة وجاورها ثمان سنين[165].

2- دور علماء مكة في الحياة العامة:

شكل علماء مكة خلال مدة الدراسة فئة احتلت مكانة كبيرة وعظيمة في المجتمع المكي، وكان لها مكانة كبيرة عند الحكام والولاة والملوك، مكَّنتهم من مواجهة الحكام بأخطائهم ووعظهم وربما توبيخهم، وقد شهدت مكة خلال القرن السابع الهجري عدداً من الحوادث التي تؤكد مكانة هؤلاء العلماء والفقهاء عند العامة والخاصة في المجتمع المكي، ومن هذه الحوادث ما ذكره (اليافعي)[166] عن الفقيه أبي العباس أحمد ابن الإمام موسى بن علي بن عمر بن عجيل (ت: 690هـ)، أنه جاء إلى مكة في إحدى رحلاته من اليمن، فتلقاه على حدودها الشريف أبو نمي والي مكة تقديراً واحتراماً لمكانته الكبيرة وقدره العظيم، وعلمه وبركاته التي فاقت الآفاق، وكان أبو نمي يرتدي الحرير من الثياب عند لقائه لابن عجيل، فانقض الفقيه عليه كانقضاض البازي على الفريسة، وأخذ بطوقه، وقال: أتلبس هذا الذي لا يلبسه إلا من لا خلاق له في الآخرة؟ أو قال: عند الله. فبقي الشريف المذكور مبهوتاً ينظر إلى ابن عجيل، وهو شريف مكة وحاكمها.

وفي الوقت نفسه، تظهر مكانة علماء مكة وفقهائها في الفترات التي تشهد فيها هذه المدينة اضطرابات وصراعات داخلية تنعكس على أهلها وزوارها والمجاورين لها، ويذكر ابن حاتم[167] من المواقف التي تدل على دور العلماء في مكة ما حدث في سنة 619هـ عندما دخلها الأمير ابن شيخ الشيوخ من قبل الملك الكامل الأيوبي وأسرف في القتل في أهلها والمجاورين فيها، مما دفع بفقهاء الحرم المكي، والمجاورين فيه إلى الدخول على ابن شيخ الشيوخ، ووعظوه، وخوفوه من عقاب الله، وقالوا: هذا حرم الله، وهؤلاء جيران بيته، وقد أسرفت في القتل فيهم، وهنا أمر بأن يصاح لهم بالأمان.

كما يظهر أيضاً أهمية ومكانة فقهاء مكة وعلمائها في الأحداث التي شهدتها سنة 646هـ؛ عندما ساءت أوضاع مكة بسبب تصرفات الأمير شمس الدين محمد بن المسيب والي السلطان المنصور عليها، الذي أمر بإعادة الجبايات والمكوس التي كان قد أسقطها السلطان المنصور عن أهل مكة، ورفع المربعة التي كانت معلقة على زمزم، واستولى على الصدقات التي كانت تصل من اليمن من السلطان المنصور، وجمع من ذلك أموالاً كثيرة، وعندما بلغت أفعاله الشريف أبا سعدة؛ قبض عليه في شهر ذي القعدة وقيده، واستولى على كل ما معه من مال وخيل ومماليك وغير ذلك؛ ولإدراك الشريف أبي سعدة لأهمية العلماء وتأييدهم لما فعله أحضر شيخ الحرم والمجاورين فيه وأكابر مكة من الفقهاء والعلماء والمشايخ وأعلمهم بأنه ما قبض على ابن المسيب إلا لما فعله من خلاف على السلطان المنصور، وما نهبه من أموال[168].

3- الحرم المكي في القرن السابع الهجري:

حظي الحرم المكي الشريف عامة والكعبة المشرفة خاصة في القرن السابع الهجري بعناية واهتمام الكثير من المسلمين ممن أرادوا من ذلك الأجر والثواب، ولما للبيت العتيق من مكانة كبيرة في قلوبهم، وتعظيماً له ولمكانته الدينية، تسابق زعماء المسلمين وحكامهم، وتنافسوا كلٌ حسب مقدرته وإمكانياته لدعم بيت الله الحرام، لاسيما فيما يخص كسوته السنوية (كسوة الكعبة)، وما يتعلق بأمور إضاءتها من قناديل الذهب والفضة، تفنن في تصنيعها أفضل الحرفين والصناع بدعم من الحكام، وبأجود المعادن والأقمشة التي يتم استيراد بعضها من بلاد مختلفة، ويؤكد لنا صاحب كتاب: (نور المعارف)[169]، أنه كان هناك اهتمام كبير من قبل حكام اليمن بالحرم المكي وبالكعبة المشرفة، ووضعوا لذلك ميزانيات وأموالاً تم رصدها وتحديدها قرين كل سلعة يتم شراؤها، لتساعد في تصنيع كل ما يتعلق بكسوة الكعبة وقناديل إضاءة جيدة تليق بمكانة المكان الذي ستضيئه، ونتيجة لأهمية الحرم المكي الكريم سخر بعض المؤرخين اليمنيين كتاباتهم للإشارة إلى ما قدم له من كسوات وغيرها، وعلى ما يبدو أن الدولة الأيوبية منذ مطلع القرن السابع الهجري تولت مسألة تجهيز كسوة الكعبة، وكذلك الأمر بالنسبة للخلافة العباسية التي كانت هي المسؤول الأول أمام المسلمين فيما يخص هذه الكسوة، وقد حاولنا هنا أن نرصد ما جاء في المؤلفات اليمنية عن هذه الكسوة ومصادر الحصول عليها حتى تتكون لدينا صورة واضحة عن وضع الكعبة في القرن السابع الهجري، ومن الملاحظ أن الخلافة العباسية من أكثر من اهتم بالكعبة، حيث يذكر (ابن حاتم)[170] أنه في سنة 632هـ وصلت كسوة الكعبة من العراق على يد شريف من الحسنيين يسمى مهنا، في حين تولى السلطان المنصور نور الدين عمر في نفس العام مسألة إرسال قناديل من الذهب والفضة للكعبة المعظمة[171]، وتغفل المصادر التي بين أيدينا عن أي ذكر لهذه الكسوة حتى سنة 640هـ عندما وصل أمير الحاج العراقي إلى مكة، وكسا البيت، وجعل الذهب والفضة عليه، وتصدق بصدقة كبيرة على أهل مكة[172]، وفي أواخر سنة 649هـ وصل رسول الخليفة إلى مكة المشرفة بكسوة الكعبة، فكسا البيت، وتقدم إلى اليمن[173].

وفي عهد السلطان المظفر يوسف بن نور الدين عمر ميزت الكعبة بعناية خاصة من قبله، حتى أنه عندما حج في سنة 659هـ، وزع الصدقات على كل بيوت مكة، وحجاجها، وحجاج مصر، وكسا البيت المعظم، ونثر عليه الذهب والفضة[174]، وظل السلطان المظفر يوسف يشعر بمسؤوليته تجاه مكة المكرمة على الرغم من خضوعها لحكم الأشراف، ومما يؤكد ذلك قيامه في سنة 661هـ بإرسال كسوة الكعبة، وكسوة الحجر الشريفة[175]، ثم قيامه في سنة 666هـ بتحلية باب الكعبة بالذهب والفضة على يد نجم الدين حسن بن التعزي[176]، ثم قيامه في سنة 671هـ بإرسال كسوة البيت المعظم على يد قاسم محفوظ[177]. وقد بلغ

من حب السلطان المظفر للبيت الشريف وتعظيمه له إلى أن يخدمه بنفسه، فيأخذ المكسحة (المكنسة) ويكسحه، ويتأبط القربة ليغسله بالماء وينظفه مستخدماً أفخر الأدوات في ذلك[178]، وهو ما يؤكد لنا مدى المكانة التي احتلتها الكعبة لدى الحكام الذين وجد أكثرهم أن قيامه بالكعبة والبيت العتيق يعني قيامه بأمر المسلمين، وتوليه لشؤونهم العامة.

الخاتمة:

لقد توصلنا في بحثنا المتواضع هذا والمعنون بـ: " مكة المكرمة في المصادر اليمنية في القرن السابع الهجري " إلى عدد من النتائج والاستنتاجات التي يمكن تلخيصها في الآتي:

1- أن هناك عناية واهتماماً خاصاً من قبل كثير من المؤرخين اليمنيين بأمر مكة، نتيجة للارتباط التاريخي القديم بينها وبين اليمن، ونتيجة لخضوعها خلال فترات مختلفة من القرن السابع الهجري لحكم سلاطين اليمن.

2- أن المدة التي حُكمت فيها مكة المكرمة من قبل ولاة اليمن تعد من أفضل الفترات، وأكثرها أمناً واستقراراً، وهو ما استنتجناه مما جاءت به بعض المصادر اليمنية التي تؤكد قدرات سلاطين اليمن في إرخاء الأمن واستقرار والنظام بما يخدم المجتمع المكي الذي رفع عنه الظلم خلال هذه الفترات.

3- أنه على الرغم من شحة المعلومات التي أوردتها بعض المصادر التاريخية اليمنية عن مكة فإن تلك المعلومات تعد مادة مهمة لا يمكن الاستغناء عنها أو غض الطرف عن محتواها، لاسيما وأننا قد لا نجدها في مصادر أخرى تخصص بعضها بتاريخ مكة.

4- أن المصادر اليمنية تقدم مادة مهمة وغنية بالمعلومات التي تتحدث عن مكة المكرمة في العصر الإسلامي عامة وليس فقط في القرن السابع الهجري، وهو ما يدفعنا أن نوجه طلاب الدراسات العليا إلى ضرورة إعادة دراسة تاريخ مكة من خلال المصادر اليمنية التي ألفت في العصر الإسلامي وما بعده.

الهوامش والتعليقات:

(1) يقول الهمداني: ومكة أحوازها لقريش وخزاعة. انظر: **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1410هـ / 1990م، ص233. وفي موضع أخر يقول: والجذامي من أهل مكة. ص389، 390.

(2) يقول الهمداني: حران وثبير جبلان أعلى مكة، وشعب السدرة حيث مسجد المزار وهو أول الأبطح، وبئر ميمون هي بئر أهل مكة القديمة التي كانوا يردونها، واحتفرها ميمون بن قحطان الصدفي... وشعب الخوز بمكة يكون فيه البياعون، وخرما بمكة. **الصفة**، ص390.

(3) للمزيد انظر: الهمداني: ص330، 337، 345، 353، 364، 385، 390.

(4) انظر: **نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف**، ج1، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2003م، ص72، 107، 111، 175، 264، 357، 358، 359، 411، 417، 418، 419، 420، 421، 424، 427، 431، 432، 436، 443، 444، 449، 450، 451، 453، 455، 456.

(5) مثل كتاب: " تاريخ المستبصر " لابن المجاور النيسابوري الذي يعد من أهم وأبرز مؤرخي القرن السابع الهجري الذين كتبوا عن مكة واليمن وبعض الحجاز، علماً بأن ابن المجاور عاش في اليمن، واشتغل في مدينة عدن، لهذا يعد كتابه المذكور وما جاء فيه من معلومات خير ما يمكن أن يطعم به البحث من أجل أن تكتمل صورة مكة في القرن السابع الهجري.

[6] وهو ما يؤكده ابن المجاور بقوله: ((ولا مرية لذوي العقول والأديان في أن مكة زادها الله شرفاً، أم القرى، وسرة الأرض المعمورة، وأحب بلاد الله إلى الله، ورسوله في السنين المشهورة)). انظر: **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمَّاة تاريخ المستبصِر**، اعتنى بتصحيحه: أوسكر لوفقرين، ط2، دار التنوير، بيروت، 1407هـ / 1986م، ص1.

[7] انظر: الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص33، 42.

[8] ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص2.

[9] ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي (ت: 744هـ / 1343م)، **تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق: مصطفى حجازي، قدم له: إبراهيم الحضراني، ط2، دار الكلمة، صنعاء، 1985م، ص83.

[10] انظر: سورة آل عمران، الآيات 96، 97؛ سورة الأنعام، آية: 92؛ سورة التين، الآيات: 1، 2، 3؛ سورة البلد، الآيات: 1، 2.

[11] انظر: ابن المجاور، ص2 - 4.

[12] للمزيد عن تلك التسميات، وشرح معناها انظر: معمري، حسن، **مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب الجزيرة العربية خلال القرنين 5 و 6 للميلاد**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2006م، ص7 - 9.

[13] هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: 272هـ)، وكتابه هو (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه).

[14] **تاريخ المستبصر**، ص4 - 5.

[15] المصدر نفسه والصفحات.

[16] نفسه والصفحات.

[17] الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص49 - 50، 55، 59، 64، 66.

[18] المصدر نفسه والجزء، ص124، 279.

[19] ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص83.

[20] ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص5، 9.

[21] الجندي، **السلوك**، ج2، ص399 - 400، 404؛ الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص204.

[22] ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص7.

[23] بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني (ت. د: 702هـ / 1302م)، **السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن**، تحقيق: ركس سميث، لندن، 1974م، ص116.

[24] **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص78.

[25] الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص198.

[26] **السلوك**، ج2، ص383 - 384.

[27] الملك الأشرف، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول (ت: 696ه)، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**، تحقيق: ك. د. ستر ستين، ط2، دار التنوير، بيروت، 1406هـ / 1985م، ص111 - 112.

[28] ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص10.

[29] الملك الأشرف، **طرفة الأصحاب**، ص111 - 112.

[30] **السمط الغالي الثمن**، ص142.

[31] ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص10.

[32] هو الخليفة العباسي المأمون أبو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي، ولد في سنة 170هـ، وتوفي سنة 218هـ. انظر: ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت: 580ه)، **الإنباه في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1421ه / 2001م، ص96؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 748ه)، **سير أعلام النبلاء**، ج8، دار الحديث، القاهرة، 1427ه / 2007م، ص376.

[33] الجندي، **السلوك**، ج2، ص539.

[34] المصدر نفسه، ج1، ص469، ج2، ص577.

[35] نفسه، ج1، ص370.

[36] ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص84؛ **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك**، مخطوطة مصورة، ط2، نشر وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب 1/6، صنعاء، 1401هـ / 1981م، ص183.

[37] **نور المعارف**، ص358، وهامش رقم (2610).

[38] ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص13.

[39] المصدر نفسه، ص5.

[40] نفسه والصفحة.

[41] شكل الجص والحجر مواد بناء أساسية قامت عليها بيوت مكة، واستخدمت أيضاً في بناء الكعبة وعند ترميمها. للمزيد انظر: الأزرقي، الإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت: 250ه)، **أخبار مكة وماء فيها من الآثار**، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، د. ر، د. ت، ص423، 489، 539، 614.

[42] وينسب إلى الأشراف الهواشم الذين انتهى حكمهم لمكة سنة 598هـ على يد الأشراف القتادات، وهو ما سوف نتحدث عنه عند حديثنا عن وضع مكة السياسي في القرن السابع الهجري.

[43] سنلاحظ هنا مصطلحات المسفل أو المسفلة والمعلى أو المعلاة تتكرر، فالمعلا: القسم المرتفع من مكة. فالإدريسي في كلامه عن مكة يقول: وطولها من المعلاة إلى المسفلة نحو ميلين، وهو من جهة الجنوب إلى جهة الشمال. محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت: 560هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ، ص139.

[44] هو الأمير عيسى بن فليتة (أو أبي فليتة) بن القاسم بن محمد الهاشمي الحسني، شريف من أمراء مكة، استولى عليها في أيام حكم ابن أخيه " القاسم بن هاشم "، وتركها سنة 557هـ خوفا من القاسم، وقُتل القاسم بعد أيام يسيرة، فعاد عيسى فاستقر في الإمارة إلى أن توفى سنة 570ه. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت: 902هـ)، **التحفة اللطيفة في**

تاريخ المدينة الشريفة، ج2، الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1993م، ص368؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت: 1396هـ)، **الأعلام**، ج5، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ص106.

(45) هو الأمير أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني، كانت ولايته لمكة في سنة 598ه، ودامت ولايته إلى أن مات في سنة 617هـ، وقيل أن ولايته امتدت إلى ينبع، وإلى "حلي". انظر: الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد المكي الحسني (ت: 832هـ / 1429م)، **شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام**، ج2، تحقيق: لجنة من كبار العلماء، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1956م، ص237.

(46) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص9 - 10.

(47) اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: 768هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ج1، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ / 1997م، ص278.

(48) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص135.

(49) هو من أشهر جبال مكة، مع أنه ليس من أكبرها، تراه يشرف على المسجد الحرام من مطلع الشمس، وهو بين شعب علي وبين أجياد، ويعد من الجبال المأهولة في مكة، وعلى قمته مسجد يسمى مسجد بلال، وليس منسوباً إلى بلال بن رباح كما يظن البعض. البلادي، عاتق بن غيث، **معالم مكة التاريخية الأثرية**، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة، 1400هـ/ 1980م، ص11.

(50) زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية، هي زوج هارون الرشيد وأم ولي عهده الأمين، ونسب المأمون والمعتصم إليها تجوزا، وكانت قد زارت الحجاز، وأدخلت فيه كثيراً من الإصلاحات، وبَنَت العمائر وأجلها عين زبيدة التي بمكة. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج2، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1900، ص314؛ المكي، محمد طاهر الكردي، **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم**، ج5، طبع على نفقه معالي الدكتور عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة، و دار خضر للطباعة، بيروت، 1420هـ/ 2000م، ص413.

(51) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص5.

(52) المصدر نفسه، ص9.

(53) نفسه، ص 6 - 7.

(54) نفسه، ص 7، 9.

(55) الجندي، **السلوك**، ج2، ص434.

(56) النصافي: هي ملابس فوقانية بيضاء، تصنع من قماش رخو، تلبس في فصل الصيف. انظر: مايرز، ل. أ، **الملابس المملوكية**، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ص46. وعلى ما يبدو أن هذه الملابس كانت تصنع نيسابور من بلاد فارس.

(57) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص6، 13 - 14.

(58) اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4، ص136.

(59) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص9.

(60) ينبع: قرية كبيرة، بها حصن على سبع مراحل من المدينة، من جهة البحر. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: 606ه)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج5، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/ 1979م، ص302.

(61) انظر: **مرآة الجنان**، ج3، ص374؛ الفاسي، **شفاء الغرام**، ج2، ص198؛ العصامي، عبد الملك بن حسين (ت: 1111ه)، **سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي**، ج4، المطبعة السلفية، القاهرة، د. ت، ص208؛ يحيى بن الحسين، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، ج1، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1968م، ص412 - 414.

(62) العصامي، **سمط النجوم العوالي**، ج4، ص208، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ج1، ص413.

(63) **بهجة الزمن**، ص84.

(64) هو الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الكامل بن محمد بن العادل بن أيوب، توفى في مكة سنة 626هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج5، ص83.

(65) اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4، ص30. ويذكر أن الملك المسعود لما ملك مكة بعد الحسن بن قتادة أمر بنبش قبر قتادة وإحراقه، فوجدوا في القبر تابوتاً ليس فيه شيء، فعرف الناس أن الحسن قتل أباه ودفن التابوت في قبر ليخفي أمره، قيل قتل خنقاً، وقيل قتله بالسم. **غاية الأماني**، ج1، ص410.

(66) **العسجد المسبوك**، ص183.

(67) وهي السنة التي ولد فيها أبنه المظفر يوسف في مكة، والمظفر هو ثاني سلاطين الدولة الرسولية في اليمن وحكم في المدة من سنة 647 إلى سنة 993ه. الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص33.

(68) **السمط الغالي الثمن**، ص175.

(69) **العسجد المسبوك**، ص183 - 184.

(70) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص192.

(71) الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي بن عبدالله (ت: 714هـ / 1314م)، **كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار**، دراسة وتحقيق: عبد المحسن مدعج المدعج، ط1، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1992م، ص95.

(72) الحجون: موضع بمكّة عند المحصّب، وهو الجبل المشرف بحذاء المسجد، الذي يلى شعب الحرّارين إلى ما بين الحوضين اللّذين في حائط عوف؛ وعلى الحجون سقيفة زياد بن عبد الله أحد بنى الحارث بن كعب. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت: 487ه)، **معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع**، ج2، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403ه، ص427.

(73) **السمط الغالي الثمن**، ص195.

(74) **العسجد المسبوك**، ص194 - 195.

(75) هو الأمير راجح بن قتادة بن إدريس الحسني، ولي أمارة مكة في أوقات مختلفة، وتوفي سنة 654هـ. الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص12.
(76) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص204 - 205.
(77) **العسجد المسبوك**، ص195.
(78) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص205.
(79) قام المنصور في سفرته هذه إلى مكة بمراسلة الخليفة العباسي المستنصر بالله بن الظاهر العباسي في بغداد طالباً منه تشريفة الخلافة، ليكون بموجبها يحكم اليمن شرعياً، وبموجب ذلك التشريف الذي وصل المنصور في سنة 632هـ أراد المنصور أيضاً حكم مكة، ليبعد بذلك منافسيه من الأسرة الأيوبية. انظر: الخزرجي **العقود اللؤلؤية**، ج1، 54 - 55.
(80) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص206 - 207.
(81) المصدر نفسه، ص207.
(82) الجموم: بلد من أرض بنى سليم. البكري، معجم ما استعجم ، ج2، ص394. يقع بالقرب من مكة، على طريق المدينة من مكة، على مسافة اثنين وعشرين كيلو، وبها أحد غزوات الرسول صل الله عليه وسلم. شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1411هـ، ص 92.
(83) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص208. وانظر الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص55.
(84) **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص55.
(85) السّرين: مدينة على ساحل البحر، بينها وبين مكة أربعة أيام كبار. المهلبي، الحسن بن أحمد العزيزي (ت: 380هـ)، **المسالك والممالك**، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، د. ن، د. ت، ص 24.
(86) الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص198.
(87) ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص87.

(88) **السمط الغالي الثمن**، ص215 - 2016.
(89) انظر: ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص87.

(90) **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص61 - 62.
(91) انظر: الحمزي، **كنز الأخيار**، ص99.

(92) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص61 - 62.
(93) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ج1، ص424.
(94) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص218.
(95) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص64 - 65.
(96) الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص201.
(97) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص220.
(98) **السمط الغالي الثمن**، ص221.
(99) المكس: هو ما يأخذه الماكس من جباية, من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية، أو دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق، والمكوس: هي الضرائب التي كان يأخذها العشارون، وهي ضرائب غير شرعية. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج6، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص4248؛ جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج14، ط4، دار الساقي، 1422هـ/ 2001م، ص 161.
(100) تقريباً المقصود بالمربعة لوحة من خشب أو طين أو جلد، تكون كلوحة الإعلانات في زمننا.
(101) **السمط الغالي الثمن**، ص221.
(102) **السلوك**، ج2، ص543.
(103) **السمط الغالي الثمن**، ص221.
(104) الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص208.
(105) **السلوك**، ج2، ص543.
(106) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص221 - 222.
(107) سوف يتم الحديث بالتفاصيل عن هذه السنة والتي تلتها من السنيين عن وضع مكة في المبحث القادم عند حديثنا عن وضع مكة الاقتصادي.
(108) الملك الأشرف إسماعيل، **فاكهة الزمن**، (ب5)، ص344.
(109) الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص204 - 205.
(110) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص106، 115.
(111) ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص91.
(112) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص317.
(113) المصدر نفسه، ص317 - 320.
(114) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص133 - 135.
(115) الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص244، 295.
(116) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص171..
(117) الملك الأشرف إسماعيل، **فاكهة الزمن**، (ب5)، ص399، 404.
(118) الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص245.
(119) **السلوك**، ج1، ص403.
(120) المصدر نفسه، ج2، ص176 - 177.

(121) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص220 - 222.
(122) المصدر نفسه، ص221 - 222.
(123) نفسه، ص221.
(124) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص13.
(125) الجندي، **السلوك**، ج1، ص321 - 322.
(126) الأديم الجلد المدبوغ. المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر , دار الفكر، بيروت, دمشق، 1410هـ، ص46. ويبد أنه كان يصنع في الطائف.
(127) البقسماط: خبز جاف هش يتزود به المسافر مثل الكعك، مربع بحجم البرتقالة. دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ / 1990م، ص36.
(128) عن تلك السلع التي كانت تزخر بها أسواق مكة، وأسواق بعض البلاد الإسلامية وكان مصدرها أسواق مكة، انظر: **نور المعارف**، ج1، ص357 - 358، 411، 419 - 420، 421، 427، 431، 436، 443، 444 - 445، 449، 450، 451، 455، 456، 458، وهوامش تلك الصفحات.
(129) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص12 - 13.
(130) **نور المعارف**، ج1، ص358.
(131) المصدر نفسه، ص358 - 359.
(132) للمزيد انظر: ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص12.
(133) المصدر نفسه والصفحة.
(134) **نور المعارف**، ج1، ص358 - 359.
(135) المصدر نفسه والجزء، ص359.
(136) نفسه والجزء، ص358.
(137) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص12.
(138) كراع النمل، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي (ت: بعد 309هـ)، المُنَجَّد في اللغة، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1988م، ص21؛ أبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، القاهرة، د. ت، ص453.
(139) **السلوك**، ج2، ص200.
(140) المصدر نفسه والجزء، ص543.
(141) **السمط الغالي الثمن**، ص320.
(142) الجندي، **السلوك**، ج1، ص375.
(143) المصدر نفسه الجزء، ص421.
(144) هو الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد إبراهيم سلفة الأصبهاني الملقب صدر الدين؛ أحد الحفاظ المكثرين، رحل في طلب الحديث، ولقي أعيان المشايخ، وكان شافعي المذهب، ورد بغداد، واشتغل بها في الفقه، دخل ثغر الإسكندرية سنة 511هـ، وأقام به، وقصده الناس من الأماكن البعيدة، وسمعوا عليه وانتفعوا به، توفى سنة 576هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1، ص105.
(145) لم احصل له على ترجمة.
(146) الجندي، **السلوك**، ج1، ص409.
(147) الخزرجي، **العقد الفاخر الحسن**، مج4، ص2208.
(148) الجندي، **السلوك**، ج2، ص399 - 400.
(149) المصدر نفسه والجزء، ص401 - 404، وهامش رقم (1) من ص401.
(150) هو أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل الزبيدي اليمني المعروف بابن أبي الصيف نزيل مكة الحافظ الجليل، له برنامج نقل عنه ابن الزبير في تكملته، وله أيضاً كتاب سماه " الميمون " جمع فيه الأحاديث الواردة في فضائل اليمن وأهله، وجمع أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين بلدة، وكان عالي الاسناد وأكثر أسانيد أهل اليمن تنتهي إليه، مات بمكة سنة 609هـ. الإدريسي، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت: 1382هـ)، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص716؛ الزركلي، **الأعلام**، ج6؛ ص37.
(151) أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي الميّانشي، شيخ الحرم، وله كرّاس في علم الحديث، توفي بمكّة. أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (ت: 1089ه ـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج6، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1406هـ/ 1986م، ص447.
(152) الملك الأفضل، **العطايا السنية**، ص571.
(153) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج2، ص188.
(154) المصدر نفسه والجزء، ص204.
(155) هو شمس الدين مُحَمَّد بْن يَحْيَى بْن تمّام ابن الحميري، الدّمشقيّ، المتوفى سنة 684هـ. انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، ج15، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ص531.
(156) الجندي، **السلوك**، ج2، ص30.
(157) الملك الأفضل، **العطايا السنية**، ص430.
(158) الجندي، **السلوك**، ج2، ص143.
(159) هو يحيى بن الفضل ابْن تاج الْأُمَنَاء أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن الْحَسَن، أبو زكريا ابن عساكر الدّمشقيّ الفقير، المتوفى: 679ه. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج15، ص379.
(160) هو ابْن خَلِيل الْمَكِّيّ مُحَمَّد بن أبي بكر بن خَلِيل بن إِبْرَاهِيم بن يحيى ابْن فَارِس الإِمَام رضى الدّين الْمَعْرُوف بِابْن خَلِيل الْمَكِّيّ الشَّافِعِي شيخ الْحرم، كانَ فَقِيها عَالما متفننا ذَا فضائل ومعارف وَعبادَة وَصَلَاح وَحسن أَخْلَاق، توفّى سنة 696هـ. الصفدي، صلاح الدين خليل بن

أيبك بن عبد الله (ت: 764هـ)، **الوافي بالوفيات**، ج2، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،1420هـ/ 2000م، ص191.

(161) لم احصل له على ترجمة.

(162) هو عز الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحْيِي الدِّينِ إبراهيم بن عمر الفاروتي الواسطي. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774ه)، **البداية والنهاية**، ج15، دار الفكر، 1407هـ / 1986م، ص20.

(163) الشَّيْخُ الصَّالِحُ المقري عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بن عبد الواحد بْنِ عَلِيٍّ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ الدَّلَاصِيُّ شَيْخُ الْحَرَمِ بِمَكَّةَ، أَقَامَ فِيهِ أَزْيَدَ مِنْ سِتِّينَ سَنَةً، يُقْرِئُ النَّاسَ الْقُرْآنَ احْتِسَابًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الجمعة الرابع عشر من محرم سنة 721هـ بِمَكَّةَ، وَلَهُ أَزْيَدُ مِنْ تِسْعِينَ سَنَةً. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، ص100.

(164) الجندي، **السلوك**، ج2، ص428.

(165) المصدر نفسه والجزء، ص576.

(166) **مرآة الجنان**، ج4، ص136.

(167) **السمط الغالي الثمن**، ص205.

(168) الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص204 - 205.

(169) **نور المعارف**، ج2، ص64 - 70.

(170) **السمط الغالي الثمن**، ص207.

(171) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص55 - 56.

(172) المصدر نفسه الجزء، ص69.

(173) الملك الأشرف إسماعيل، **فاكهة الزمن**، (ب5)، ص368.

(174) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص133 - 135.

(175) المصدر نفسه الجزء، ص141.

(176) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص378.

(177) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص184.

(178) الخزرجي، **العقد الفاخر الحسن**، مج4، ص2309.

المصادر والمراجع:

1- **إبراهيم مصطفى** وأخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، القاهرة، د. ت.

2- **ابن الأثير**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج5، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

3- **الإدريسي**، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير بن محمد الحسني، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت: 1382هـ)، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.

4- **الإدريسي**، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت: 560هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ.

5- **الأزرقي**، الإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت: 250هـ)، **أخبار مكة وماء فيها من الآثار**، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، د. ر، د. ت.

6- **البكري**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت: 487هـ)، **معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع**، ج2، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ.

7- **البلادي**، عاتق بن غيث، **معالم مكة التاريخية الأثرية**، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة، 1400هـ/ 1980م.

8- **الجندي**، أبي عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: 732هـ / 1331م)، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ج1، ط1، 1414هـ / 1993م؛ ج2، ط2، 1416هـ / 1995م.

9- **جواد علي**، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج14، ط4، دار الساقي، بيروت، 1422هـ/ 2001م.

10- **ابن حاتم**، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني (ت. د: 702هـ / 1302م)، **السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن**، تحقيق: ركس سميث، لندن، 1974م.

11- **الحمزي**، عماد الدين إدريس بن علي بن عبدالله (ت: 714هـ / 1314م)، **كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار**، دراسة وتحقيق: عبد المحسن مدعج المدعج، ط1، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1992م.

12- **الخزرجي**، أبو الحسن علي بن الحسن (ت: 812هـ / 1409م)، **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك**،

مخطوطة مصورة، ط2، نشر وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب 1/6، صنعاء، 1401هـ / 1981م.

13- **الخزرجي، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، وهو: طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن،** تحقيق ودراسة عبد الله بن قائد العبادي وأخرون، الجيل الجديد، صنعاء، 1430هـ/ 2009م.

14- **الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية،** ج1، عنى بتصحيحه: محمد بسيوني عسل، مطبعة: الهلال، القاهرة ، 1329هـ / 1911م.

15- **ابن خلكان،** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** ج2، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1900.

16- **دهمان،** محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،** ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ / 1990م.

17- **الذهبي،** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: 748هـ)، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام،** ج15، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م.

18- **الذهبي، سير أعلام النبلاء،** ج8، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/ 2007م.

19- **لزركلي،** خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت: 1396هـ) **الأعلام،** ج5، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

20- **السخاوي،** شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت: 902هـ)، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة،** ج2، الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1993م.

21- **شُرَّاب،** محمد بن محمد حسن، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة،** دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، د. ت.

22- **الصفدي،** صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: 764هـ)، **الوافي بالوفيات،** ج2، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،1420هـ/ 2000م.

23- **ابن عبد المجيد**، تاج الدين عبد الباقي (ت: 744هـ / 1343م)، **تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق: مصطفى حجازي، قدم له: إبراهيم الحضراني، ط2، دار الكلمة، صنعاء، 1985م.

24- **العصامي**، عبد الملك بن حسين (ت: 1111هـ)، **سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي**، ج4، المطبعة السلفية، القاهرة، د. ت.

25- **ابن العمراني**، محمد بن علي بن محمد (ت: 580هـ)، **الإنباه في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي**، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1421هـ / 2001م.

26- **الفاسي**، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد المكي الحسني (ت: 832هـ / 1429م)، **شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام**، ج2، تحقيق: لجنة من كبار العلماء، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1956م.

27- **أبو الفلاح**، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (ت: 1089هـ .)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج6، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1406هـ/ 1986م.

28- **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، **البداية والنهاية**، دار الفكر، 1407هـ / 1986م.

29- **كراع النمل**، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي (ت: بعد 309هـ)، **المُنَجَّد في اللغة**، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1988م.

30- **ماير**، ل. أ، **الملابس المملوكية**، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/ 1985م.

31- **ابن المجاور**، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت: 690هـ / 1291م)، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمَّاة تاريخ المستبصِر**، اعتنى بتصحيحه: أوسكر لوفقرين، ط2، دار التنوير، بيروت، 1407هـ / 1986م.

32- **معمري**، حسن، **مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب الجزيرة العربية خلال القرنين 5 و 6 للميلاد**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2006م.

33- **المكي**، محمد طاهر الكردي، **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم**، ج5، طبع على نفقه معالي الدكتور عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة، و دار خضر للطباعة، بيروت، 1420هـ/ 2000م.

34- **الملك الأشرف**، أبو العباس إسماعيل بن العباس (ت: 803هـ / 1400م)، **فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر الزمن**، (الباب الخامس)، تحقيق: علي حسن معيلي، رسالة دكتوراه جامعة تونس، تونس، 2005م.

35- **الملك الأشرف**، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول (ت: 696هـ)، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**، تحقيق: ك. د. ستر ستين، ط2، دار التنوير، بيروت، 1406هـ / 1985م.

36- **الملك الأفضل**، العباس بن علي بن المؤيد الرسولي (ت: 778هـ / 1376م)، **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية**، دراسة وتحقيق: عبد الواحد عبدالله الخامري، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ / 2005م.

37- **المناوي**، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر , دار الفكر، بيروت, دمشق، 1410هـ.

38- **ابن منظور**، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الأفريقى (ت: 711هـ/ 1311م)، **لسان العرب**، ج6، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

39- **المهلبي**، الحسن بن أحمد العزيزي (ت: 380هـ)، **المسالك والممالك**، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، د. ن، د. ت.

40- **نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف**، ج1، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2003م.

41- **الهمداني**، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت : 360هـ / 970م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1410هـ / 1990م.

42- **اليافعي**، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: 768هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ج1، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ / 1997م.

43- **يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، ج1، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1968م.